19me année No 875

Le Caire 10 — 4 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ١٠ أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

أدبنا في السماع!

كانت الإذاعة ليلة الأمس مفتوحة على آذان العالم كله. وكان الحفل مقاماً للسمر والترفيه فى دار من دور العلم، فلم يشهده إلا أستاذ أو طالب أو رجل بين ذلك. وكان المغنى يرسل النغم حلو الإيقاع صافى الرنين، فيشيع الطرب فى النفوس، ويبعث اللذة فى المشاعر؛ ولكنه كان قبل أن يقف وقفته الفنية لدى التقطيمة أو الترجيعة، تنفجر حلوق السامعين بالآهات المدوية فتطغى عليه كما تطغى زمجرة العاصفة على سجعة الحمامة!

(آه)، أو (عاه)، هو الصوت الجماعى الذى تنشق عنه الحناجر الطروبة فى مجلس الغناء فيكون عند انطلاقه أشبه بهزيم الرعد أو خوار الثور، ثم يكون عند ارتداده أشبه بتفجع المحزون أو توجع المريض. وتلك شعيرة من شعائر الطرب ينفرد بها المصريون من بين خلق الله فى الشرق والغرب!

رغبت الكاتبة الفرنسية (فلنتين دسان بوا) أن تشهد حفلة من حفلات أم كلثوم. فلما خرجت من مسرح الأزبكية سئلت عن رأيها فى الغناء العربى والموسيقى المصرية، فقالت: والله لقد اختلط الأمر على فلم أدر أنى مسرح كنت أم فى مستشفى! ولو كنت فى مسرح فلم كانت هذه الآهات؟ ولو كنت فى مستشفى فلم كانت هذه القهقهات؟ ولو كان السامعون يضجون من فرط الإعجاب والسرور، فلم كانوا يقذفون المغنية بالطرابيش لا بالزهور؟!

والحق أن مجلس الغناء عندنا نمط من المجالس عجيب! فى مجالس التثقيف أو التكريم أو التأبين يهيمن على غرائز الناس ضابط من الوقار المطبوع أو المصنوع فلا تكاد تميز فيها الجاهل من العالم، ولا الجلف من المهذب، ولا الأحمق من الرزين؛ ولكن مجالس اللهو تحدث فى الأعصاب ضرباً من النشوة، يخف فيكون خماسة، ويثقل فيكون عربدة. والطرب فى مصر أكثره من الوزن الثقيل! يستخف الطباع المرحة حتى يخرجها عن التكليف، ويبعدها عن الحشمة! لذلك صارت حفلاتنا الغنائية كما ترى وتسمع: زفير وشهيق، وصفير وتصفيق، وحركات فى القيام والقعود، كحركات اليهود فى برص العقود. ثم تلويح بالأذرع، وتنافس فى الزياط، وتراشق بالنكت، حتى أصبح الهرج والضجيج سنتنا فى السماع، فلا يجيد المغنى الغناء إلا فيه، ولا يحسن السامع الاصغاء إلا به! ولقد ذهب مغنينا الأكبر إلى العراق — وكنت هناك — فلما وجدهم يسمعون فى سكون، ويتمتعون فى وقار، ظن أنهم لا يطربون، ففتر نشاطه وتعثر فنه!

فاتقوا الله يا قوم فى سمعتنا المدنية، فلقد كنا نسمع المغنى وحدنا بين أربعة جدران، فأصبحنا اليوم نسمعه مع كل إنسان فى كل مكان!

احمد حسن الزيات

البحث عن المطلق

للاستاذ صبحي شفيق

بديهي أن كل فنان يعتمد في تصوير مجالاته الفنية — بما تستنفذه وتبعثه من تجارب — على رمز من الرموز . فاللفظ ، واللون ، والنغم ، كلها وسائل تهدف إلى المعنى الحادث خلفها ، فليست هي غايات في حد ذاتها ، لأنها تضمحل في ذات الوقت الذي يصل أثرها إلى الآخرين ، تتلاشى تماماً من عالم الحس ، بعد أن خلقت في وجداننا صوراً مترابطة تمام الترابط ، متجسمة تمام التجسم ، هي عالم الفنان الذي نشاركه هذه المشاركة الوجدانية .

وحينما نعجب بهذا الأثر أو ذاك ، لانفطن إطلاقاً إلى مشكل نقدي يكمن خلف حكمنا العام هذا . إننا نعكس الآثار الفنية على أنفسنا ، وقد نسينا هذا الذي خلقها : أي طريق قطعها من أجل الوصول إلى هذه الصورة الخالصة التي نتملاها في لحظات؟ .. أي إحساس ملك كيانه حتى تمت هذه المشاركة الوجدانية ؟ . . ولو حاولنا رد هذا التساؤل إلى أصوله في النفس الفنانة ، لأضفنا الكثير إلى ذواتنا المتذوقة ، ولأخرجناها من موقعة الحكم الذاتي ، والنقد الأثري ، إلى مجالات أخرى أهمها تحديد قيمة الأثر الفني مجرداً من الأهواء : فكيف يكون ذلك ؟ . .

لنرجع إلى فناننا ذاته . إننا نجده مهموماً ، وهمه لا ينقطع ، من أجل الوصول إلى فن خالص . يريد أن يكون فناناً قبل كل شيء ، وأثره يريده كذلك فناً قبل كل شيء ، ولابد من طريق يسلكها . لابد من اتجاه يتحدد أمامه ، وكلما جال ببصره في الماضي وجده لا يعطيه الكثير ، وكلما اتجه إلى المستقبل ، وجد الناس أحلاماً متمايزة ، كل منهم يريده فناناً على هواه الخاص ، يعطيه ما يوائم مزاجه وحده دون سواه . فكيف يعبر وهذا الضجيج يجتاح كل ملكاته ويسلمه إلى قلق واضطراب شديدين ؟ . .

وفناناً لا يجهل ما يراد منه إنه يعرف أن عليه توصيل ما يضطرب في دخيلته . . وهذا حقاً مشكل هين حين نتأمله من الخارج ، ولكنه كل شيء لدى الفنان . ومع توافر وسائل الأداء ، ونضوج الموضوع ، فإنه يتردد ، يتردد كثيراً فإن الصورة النهائية التي تنتهي إليها مجالاته العتيدة ، نسميها في يسر : أثراً فنياً . . ليست إلا عوالمه وما تحمل ، ليست إلا هذا الشيء الذي يحنو عليه بكل ما يجرفه من مشاعر ، يريدها شيئاً كاملاً لا تشوبه شائبة تنجم عن نقص هنا ، أو عثرة هناك ، فهو في كلمة واحدة ، يريد أن يصل إلى فن خالص . .

وإزاء هذه الرغبة التي يعرفها كل فنان ، يترسب في طواياه شعور بالواجب ، عليه أن يكون (أميناً) في التقاط كل الانفعالية لحركات وجدانه المحلل [1] هذا الذي تصل إليه صور المدركات الحسية ، وصور كل التجارب التي ينفعل لها ، مستمدة قيمتها الاسما تطبعه في الدفعة الواحدة ، ولكن من هذه التجزئة التي تحدد الأجزاء متتابعة ، وتربط الصور ربطاً متسقاً ، تبرز التجربة وتجسمها بما يكتنفها من نتوء وسطوح ومنحنيات .

وهنا يحدث الصراع بين موضعين متعارضين : فلو ساير وجدانه وحده لفقد هذا العنصر الآخر الكامن في نفسه ، وهو الذي سميناه واجب الفنان ، فمسئوليته عن الأثر تجعله يقف إزاء طواياه المستترة وعالمه الآخر : هل كل شيء يقال ؟ . . هل يعبر عن هذا الكل الجزئي ؟ . . ولو عبر عن هذا فهل يصل إلى الفن الخالص الذي يريد ؟ . .

وفناننا لم يصل إلى موضع التقاء بين خطين متعارضين : بين الفن الخالص والمسئولية .. هو متردد بعض الشيء لأنه لم يكتشف طريقه بعد .. وها هو ذا يجد كل هذا التوتر النفسي قد تبلور في رغبة أخرى غامضة كلهم ، ولكنها أخطر من كل ما مر بعوالمه المتشابكة الكثيرة الاهتزاز : هذه الرغبة : ما هي ؟ . وكيف يلقى أمانيه فيها ؟ . لقد سمع النقاد يرددون : اتخذ لك طابعاً . خلف أثرك بغلاف شكلي يشتمل على الكل والجزء في آن . أبرزه في قالب يتوافر فيه عنصر التناسق ! ... وهنا يواتي فناننا الحائر هذا

---

(١) نطلق لفظة « وجدان محلل » على عالم الفنان وحده ، فكل إنسان يحس ، وليس كل إنسان يستطيع التعبير . والفنان هو الانسان المعبر ، فالفارق بين ما تخلفه التجارب في وجدانه ووجدان الآخرين إنه يدركها محللة مجسمة ، بينما يأخذها الآخرون صوراً مبهمة . .

النوع من الارتياح الذى يعرفه السائر فى الطريق الجهـــول حينما يلمح فجأة الضوء الخافت يكشف له الخطوط الممتدة على مرمى البصر ينبثق منها الأمل القريب .

ولكن : أتراه وجد آماله فى هذا ؟ .

لقد أراحه هذا فى ناحية واحدة ، وكان قاصراً عليهـا دون مناحيه كفنان ، هى ناحية الشكل ، ناحية الظل البادى فى هذه الزاوية ، والخافت المتدرج فى الأخرى ، والنور الملق بضوئه فى سائر الأجزاء . أما الداخل ؟؟ . أما فى الكيان نفسه ، . أما فى المضمون الفنى . فمـا زال إحساسه قلقاً ، ولكن بهارج الزينات التى يضفيها الطابع la forme على ما حوله ، قد أنسته حيرته بعض الشىء .

وما دام يتحسس الشكل ، فيده لم توضع إلا على الأبعاد الوهمية للفن دون الداخل . تلك التى يحاول بعض النقاد تحديد الأثر بها ، وإخضاعه للتجزئة على هـذا القياس ، كيما يصل إلى النمط المتسق الذى يخـدع التذوق تمـام الخديعـة . فهم يدركون حقيقة كامنة فى الفصل الملىء بالقوى ، الفائض بالطاقات الحيوانية ، هذا الفصل الذى نسميه مشاركة الوجدان . وهذه الحقيقة المرتبطة بكل هـذا ، هى الراحة النفسية التى يحسها الآخرون . فتجدهم يرددون فى لهث متقطع : اعطوه ما يرتاح إليه ، وما ترتاح إليـه نحن أيضاً .

ولا تحدث الراحة النفسية إلا إزاء ما تطبعه فينا الأشياء من شعور بالتحرر ، بأنها نازعة أبداً إلى الصورة النقية . قف قليلا أمام منزل سقطت واجهته ، وبدا عارياً من كل إتساق . إنك تجده يبدو كخط متكسر ، أو كجملة خطوط متكسرة ، فجالانك البصرية لا تجول فى أبعاد فسيحة متسقة . خط يعترضك هنا . زوايا تصدم حرية بصرك هناك . فتجد نفسك قد شعرت بنوع من القلق ، تجد نفسك لا ترتاح إلى هذا الشكل إطلاقاً ، بينما تشعر بانشراح نفسى إذا ما نظرت إلى انطباق الأفق والأرض فى ساعات المغيب . وما التحرر الذى نستشعره إلا فى كون ما نراه هو هـذا الشىء الذى لا يوقفنا قليلا لوعورة هنا ، أو خطوط هشة هناك . إننا نميل للمنحنيات بفطرتنا ، نميل إلى الأشيـاء التى تتلف الجوهر ، وكل ما يتفرع منه بغلاف ليس فيـه من بروز شوهاء ... أما الخطوط المتكسرة ، فهى تقطع تجاوبنا النفسى ، وتعاطفنا نحوها . إننا لا ننتقل معها بمشاعرنا فى انسياب أبداً ، ولا تحركنا معها مفسحـة مجالاتنا النفسية ، ولا تجعلنا نستشعر الوحدة فى هـذا الانحدار الحر . بغير عائق وعلى هذا الأساس تقوم العلائق بيننا وبين شتى الفنون .

وهنا تحدث الخديعة ، إذ تختلط معطيات الحس والوجدان لدى الفنان والمتذوق على حد سواء ، فلا تفرقة بين (شـكل) و (مضمون) ، فهما يحسبان الاثنين أشياء تستوى لدى التأمل والتعبير بغير افتئات ، كلاهما مطلب من مطالب الراحة الوجدانية ، وكلاهما تعاطف بلغ أوجه الإتساق .

وحقيقة أننا نجد فى هذه الفنون الشكلية الألوان المنسحبة من سطح إلى سطح ، فى وحدة وترابط تثير انفعالاتنا . ونجـد كذلك الأصـوات فى إيقاعها الرتيب تحرف مشاعرنا ، وكذلك الألفاظ فى ترادفها وتتابعها تحدث هذا النوع من التعاطف الجمالى (Esthétiques) . ولكن كلما نفذنا إلى كنه المسألة ، وجدنا كل هذا طلاء . طلاء مروع أشبه بالغشاوة تحجب أعيننا ، وتتركنا فى حال من تداعى الصور لذيذ ، فنحن لا نخرج من كل هذا إلا بالخدر ، بالسكن الوقتى . أما التيار فى عمقه وقوته فلم يصلنا بعد ، لأن فناننا كان حائراً فى استكشاف المنبع والأصل ، كان يضرب فى طريق يحيطها الوهم الرومانتى إلى حد النثيان ، وكان كل ما يريده عالقاً بالشكليات .

ومن هذه الخديعة وجدت الدعوات الكثيرة التى انتهت إلى قالب من قوالب فلسفـة الفن ، فالفن عـند البعض لعب راق ، وعند البعض متعة لاذة ، وعند البعض حدس غيبوبى ، فى كل هذا يختفت النطق وتستطيل العبارات الشاعرية ، ويدور الإنسان مع نفسه فى تأمل واستكشاف لما فيها ، فى تداع ترجمى [1]

---

(١) فى الأساطير اليونانية يقال أن نرجس قد خرج مرة للنزهة ، ووقف قليلا إزاء أحد الغدران . فلمح فى الماء صورته لأول مرة . . فصار لا يفارقها إطلاقاً . . لقد عشق نفسه تماماً . . ثم فنى فى سبيل هـذا العشق . فحولته آلهة الاولمب إلى الزهرة المعروفة باسمه . . وفى حياتنا النفسية نعاود الأسطورة نفسها فى كثير من الأحيان . . إننا نتأمل أنفسنا معجبين ، ولا نشعر إطلاقا بما يجب علينا عمـله . . وكل فنان يدور مع نفسه ، فى هذا الوهم الفاتن ، يصح أن نطلق عليه هذا اللفظ . .

وما كان هذا التضارب فى الآراء، إلا حيرة الكائن الحى فى فهم مضمون نشاطه . إن هذا الخدر المنطوى فى اللاشعور ، يريد أن يخرج إلى مجالات الإدراك ، ولكنه يتعثر دائماً ، ويحدث كل هذا الخلط فى تحديد القيم .

لقد كانوا جميعاً ، نقاداً وفنانين أشبه براكب السيارة يحاول الوصول إلى بؤرة المرآة التى أمامه ، يريد اللحاق بصورته المتجمعة فيها ، وحواسه تخدعه ، فتهيء له الحركة الوهمية ، بينما المسافة ثابتة بينهما ، وكل الخلاف فى الزمن القياسى .

كانوا جميعاً غارقين فى بؤرة الأبعاد الشكلية ، فى الحين الذى يحل فيه المشكل يتدرج النظر بين البؤرة ومكان الجالس ، بين (الشكل) و (الجوهر)، هذا الذى لا يمكننا أن نمسكه ونضعه فى أنبوبة اختبار ، ولكن نستشعره فى المضمون الخالص .

فكيف نصل إلى هذا ! أين نجده ؟ .

إننا نجد الشيء دائماً فى طوية موضوعه ، ولكننا ننسى هذه الحقيقة الكبيرة ، فنفتش فى الخارج، غافلين عن ملكاتنا التى تستطيع اللاحظة والربط والاستدلال .

وموضوعنا هو كيان النشاط الفنى ، إنه يمنحنا ما يفسح الطريق على مداها ، وفى ذات الفنان الخالقة نلقى مادة بحثنا ، فكل ما نريده فى الداخل ، وفى الداخل دائماً .

وما دمنا قد بدنا عن الأبعاد الخارجية ، فإنا نلقى الذات الخالقة ، من — ذات الفنان — كل منافذها متفتحة لتأخذ وتعطى . ولا بد من منظم قوى لنشاطها ، فليس الأخذ والعطاء هنا عملية حسابية فى رسة الأوراق المالية . إنه عالم النفس الإنسانية . وكل منظم قوى نريده، نقصد به حل مشكلة واحدة ، هى قلقلة الاضطراب السائد فى دخيلة الفنان ، هذا الاضطراب الذى يرجع إلى حالة التوتر بين (واجب) و (تعبير) فى الآنة الواحدة ، فى الزمن الذى يتسرب فيه النشاط ليتكامل المضمون .

وإذا وصلنا إلى هذا المنظم القوى وامتلأت نفس الفنان به ، لا يحدث القلق ولا المنحى الشكلى : وما هو المنظم إذا لم يكن الوصول إلى الموضع الفاصل بين حدى التوتر ، بين تحديد قيمة (التعبير) وتحديد قيمة (المستوية)، إلى مركز حركتين متعارضتين ، ولكنها متشابكتان ؟ .

كيف نصل إليه ؟ كيف ؟

نلاحظ أن أكثر الفنانين يعطوننا فناً مريضاً . فيه صرخات جوفاء ، وفيه عويل ونحيب . إنه أشبه بجنازة طويلة لا ينتهى فيها البكاء . وهذا فى جملته ليس عالمك أنت ولا عالمى أنا ، ولا عالم سائر البشر الموجودين ، إنه حالة تشبه الاغماء ، أشياء لا يفهمها إلا خالقها ، وهو يعبر عنها تعبيراً فيه الكثير من حرق البخور ، والترهب ، ومناجاة الأرواح الخفية . إنها حالة فيها التداعى إلى حد انقاذ (الرمى الفنى) الذى يستحيل الوجدان به شيئاً معللا ، وتتم به عملية الروابط وتتحدد بالوضوح إذا ما توافر لديه .

وتتم به عملية الربط وتتحدد به عملية التصور ، ويتميز الفن

وما السبب فى هذا ؟؟ ...

ليس من سبب إلا أن فناننا هذا ، صاحب الفن المريض ، كان يعيش وحده. ليست له عيون كالعدسة ترقب وتلتقط وتعكس ، وتعطى كل ما تستنفذه إلى مدركات حسية ، ترتبط برباط الفن ،

لا ، لم يكن هذا طابع المسألة ، وإنما فناننا مصاب بالنرجسية الراقية ، وحقيقة إنه لا يعجب بنفسه ، ولا يتأمل محاسنه، ولكنه دائر مع نفسه فى صورة أخرى منعكسة على أثر فنى يريد إخراجه. هو يجول مع هذه الشاعر النرجسية ، متأملا نفسه ، مطلا عليها من عالمه وحده . ولنفس السبب نجد أكثر الآثار الفنية يبدو كأنها آتية إلينا من عالم غريب ، ليس عالمنا . إننا نحس فى القصص أو الأشعار التى تدخل فى هذا النطاق ، بأن نقل أوراق كتبها يعيدنا إلى عالم المحسوسات حولنا بين الفينة والفينة ، وفى أحيان كثيرة يصرخ البعض : لا نستطيع أن نستمر فى قراءة هذا . إذ هذه اللوحة غريبة عنى ، أو هذه القطعة الموسيقية لا تخاطبنى .

ولماذا يقول هذا ؟ إن الفن تعبير، وكل تعبير يعنى الوضوح ، فكل الناس تدور مع نفسها ، ولكن الفنان — كما أسلفت — هو الذى يخرج هذه العوالم المغلقة على ذواتها، إلى الخارج الموضوعى.

ولا يمكن أن يصل إلى هذا الوضع إلا إذا سقطت عنه أقنعة النرجسية ... لأن الرابط بين كل الحواس ، يبدو واضحاً فى حد ذاته لديه . إنه يعطيه التوازن فى الربط ، والتناسب فى معطيات الوجدان ، والتعاطف بينه وبين موضوعه ، لأنه يحس حينئذ بأن ما يخرجه هو مسئول عنه ، إنه مولوده البكر يصرخ متلمساً موضع حنان .

اخـــوان الصفا ورسائلهم

للدكتور حسين الهمداني

الدكتور حسين الهمداني أستاذ متخصص في التاريخ الإسلامي، وهذا البحث مما عني بدراسته عناية خاصة؛ وقد ألقاه في رابطة الأدباء بالقاهرة، ومما تخصص فيه الدكتور الهمداني بحث الدعوة الاسماعيلية باليمن. وآثاره في هذين الموضوعين معروفة في البيئات العلمية العربية والاستشراقية وله بحوث قيمة في عدة مؤتمرات عقدت بلندن وبألمانيا

أعتقد أن البحث عن « اخوان الصفا ورسائلهم » — على رغم كثرة ما تعرض له الكتاب طيلة مئات السنين الفائتة، مرغم تعدد الآراء والنتائج التي استخلصت منها — لا يزال بحثا غامضا يشوبه كثير من الابهام، ويكتنف جنباته مزيد من التشكك والارتياب سواء كان ذلك من ناحية شخصية الاخوان أنفسهم الذين ألفوا الجماعة، أو كان من ناحية الأهداف التي كونوا أنفسهم وعاهدوا الله على تحقيقها ...

ولم يصادف التاريخ في حقبة من حقبه جماعة كهذه الجماعة، ظل أمرها خافيا على الناس ملتبسا عليهم. وكثيرا ما قامت في الشرق والغرب جماعات سرية، دينية أو علمية أو سياسية أو ارهابية وكثيرا ما كانت تعمل في الخفاء، لا تعلن عن نفسها، ولا تفصح عن حقيقة أعضائها، ولكنها بعد وقت، طال أو قصر ظهرت، وعلم الناس من أمرها كل خافية ... إلا جماعتنا هذه، فانها بقيت إلى اليوم موضع الشك ومثار الابهام والجدل وموطن الدهشة والغرابة.

ولكن يمكن أن يقال نتيجة لما انتهى بنا من بحوث الأقدمين وأحاديث الرواة، إن هذه الجماعة كانت مجموعة من علماء البصرة، تعاهدوا فيما بينهم في أواسط القرن الرابع الهجري، على إحداث حدث جديد، يقلب الأوضاع التي كانت سائدة، والنظريات المتوارثة، دينية كانت أو سياسية عقلية أو نظرية أو مادية ...

ولكن: كيف تسقط النرجسية الراقية هذه؟؟

لدينا حكمة قديمة، ولكنها متجددة نابضة على مر القرون، حكمة قالها حكيم اليونان: إعرف نفسك ... وإذا حصرنا حكمته في دائرة الفن، نجد المقصود بها أن يتجرد الفنان من خيالاته وأوهامه، يحلل كل قضاياه، يعرف كيف ينبع التيار النفسي أو من أين ينبع

ومتى عرف ذلك استطاع أن يضع نفسه موضع الآخرين، فتصبح ذاته — وقد تحللت — هي الذات التي تفهم تجارب النوع الإنساني كله.

فالفن في أبسط تعاريفه: تجربة وانفعال في مضمون واحد، وإزاء هذا لابد أن نكون صادقين حينما نحس، وحينما نتأمل، وحينما نعبر، هذا الصدق الذي لا يصور الواقع تصويراً فتوغرافياً، ولكنه يبدو في الإحساس بالواقع — مجرداً من كل نفاق: وهل كان النفاق في عالم الفن إلا العجز الناجم عن غموض الموضوع لدى الفنان نفسه؟ هل كان سوى العجز الذي يعني أنه لا يفهم نفسه ولا يفهم موضوعه، ولا يمكن أن يكون صادقاً بغير فهم لهذين

وهذا هو الصدق الفني.

ويوصولنا إليه نجد أنفسنا إزاء النتيجة الأخيرة في هذا الموضوع المتشابك: فالتعبير الصادق، يدفع بجزئيات الموضوع في تتابع صادق، ومتى شاركنا الفنان في فنه الصادق هذا نحس بالراحة النفسية بغير خديعة.

إن الفن هنا هو عالمنا. إننا ننتقل مع الموضوع في انسياب دائم، لا يواتيه تكسر أو خطوط شائهة، بينما كنا لا نحس الراحة النفسية في (الفن النرجسي)، لأننا نصدم بالنفاق في أكثر المواضع. كنا نصدم بأشياء غريبة عنا، أشياء لا نفهمها على نحو من الأنحاء.

وما دام هذا الفن عالمنا، فهو هذا الشيء المجرد من العوائق، هو هذا الشيء الحر، هو هذا الشيء الذي يحدث الراحة النفسية الصادقة، هو هذا الجميل، بل هو في كلمة واحدة: المطلق !! ...

صبحي شفيق

وأول من قال بهذا الرأى أبو حيان التوحيدى فى كتابه (الامتاع والمؤانسة) ثم جاء بعده جمال الدين أبو الحسن القفطى المصرى فأورد فى (تراجم الحكماء) كلاما طويلا ، بل تسجيلا كاملا للحديث الذى جرى عام ٩٨٣ ميلادية بين أبى حيان وبين وزير لصمصام الدولة ، الذى خرج منه بنتيجة هى أن زيد بن رفاعة تعهد وهو بالبصرة مع جماعة بينها أبو سليمان محمد بن معشر البستى المعروف بالمقدسى ، وأبو الحسن على بن هرون الزنجانى . وأبو أحمد القفطى كان أمينا وحذرا فى الرواية ، فانه لم يخف فى كتابه شكه فى حقيقة الجماعة فقال : « ولما كنا مصنفوها أسماءهم ، اختلف الناس فى الذى وضعها . فكل قوم قالوا قولا بطريق الحدس والتخمين ، فقوم قالوا : هى من كلام بعض الأئمة من نسل على بن أبى طالب كرم الله وجهه واختلفوا فى اسم الإمام الواضع لها اختلافا لا يثبت له حقيقة . وقال آخرون هى تصنيف بعض متكلمى المعتزلة فى العصر الأول » . والغريب أن القفطى اعترف بامكان نسبة الرسائل إلى الأئمة العلويين ، كما اعترف بوجود مذاهب أخرى ، مع أنه استند كثيرا فيما قال إلى كلام أبى حيان .

ولكن يتبين من كل هذا أن تاريخ انشاء الرسائل تراوح بين سنة ٣٣٤ و ٣٧٣ هجرية وأن مدينة البصرة كانت مركزا للجماعة . ولكن لو بعدنا عن القفطى لأعوز هذه النتائج كثير من الأدلة والشواهد . ومما يذكر أن الاخوان تحاشوا ذكر اسم البلدة كما لم يذكروا التاريخ .

وهناك رأى فى أن هذه الرسائل ألفها مسلمة المجريطى سنة ٣٩٨ هـ لأنه قال فى كتاب (رتبة الحكيم) ما يأتى : « وقد قدمنا من التأليف فى العلوم الرياضية والأسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعابا ، لم يتقدمنا فيها أحد من عصرنا البتة . وقد شاعت هذه الرسائل فيهم وظهرت إليهم فتنافسوا فى النظر إليها وحضوا أهل زمانهم عليها ، ولا يعلم من ألف ولا أين ألف غير الحذاق منهم ... »

ونحن لا نستطيع أن نسلم بهذه النظرية ؛ فكتاب « رتبة الحكيم » ثابت أنه ليس من تأليف المجريطى ، بل هو منسوب إليه فقط فقد أثبت العلماء أن هذا الكتاب ألفه شخص غير المجريطى لا نعرف اسمه بعد قرن من وفاة المجريطى . ومن الجائز أن يكون صاحب كتاب « رتبة الحكيم » يشير إلى رسائل أخرى ألفها على نمط رسائل اخوان الصفا ، وعلى كل فلو افترضنا أنه يريد من التأليف رسائل اخوان الصفا فالمجريطى ليس هو صاحب هذه التآليف .

وهناك رأى آخر وهو ما نادت به الدعوة الفاطمية باليمن وهو ينصب على أن هذه الرسائل ألفها أمام من الأئمة الفاطميين المستورين قبل ظهور المهدى بالمغرب هو أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فى أيام الخليفة المأمون العباسى ، وأول من قال بهذا الرأى الداعى على بن محمد الوليد الأنف المتوفى سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦) ومن بعده الداعى ادريس عماد الدين المتوفى سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م) ولا شك أن هذا الرأى يلقى ضوءا على الصلة بين الرسائل والحركة الفاطمية الاسماعيلية ولكننا لا نعرف شيئا عن هذا الأمام المستور وليس هناك ذكر لهذه الرسائل ، فضلا عن ذكر مؤلفها ، فى الكتب التى ألفت فى أيام الفاطميين فى مصر أو فى غيرها من البلاد الاسلامية .

ومما يثير شيئا من الدهشة أيضا أن الرسائل كانت خالية تماما من ذكر الفاطميين مع انتساب هذه الجماعة إلى دعوة أهل بيت النبى ؛ ومع أن الدعوة الفاطمية طرف متصل بالدولة الفاطمية التى بدأت فى المغرب وتسربت حتى مصر وسوريا فليست هناك شواهد داخلية أو خارجية ترمى إلى اثبات هذه النظرية أو الى صحة هذه العقيدة إلا أن يقال أن الصلة قوية بين الآراء والتعاليم التى تتضمنها الرسائل وعقائد الاسماعيليين ، وإلا أن الرسائل كانت مصطبغة تماما بالصبغة الاسماعيلية نفسها . وقد وصل إلى هذا الرأى كل المستشرقين أمثال كازانوفا ، ودى بور ، وجولد تزيهر ، وغيرهم . .

هذا وقد وجدت رسائل اخوان الصفا كلها كاملة فيما عدا (الرسالة الجامعة) وتعتبر أهمها ، حتى جاء المستشرق الفرنسى كازانوفا فى أواخر القرن الماضى ، وأعلن عثوره على نسخة خطية منها فريدة ، كانت صفحاتها الأولى بما تحمله من تعريف بها مفقودة تالفة ، فأخذ يدرسها ويبحثها حتى خرج من البحث إلى أنها (الرسالة الجامعة) وهنا أخذ العلماء يدرسون الرسائل من وجهة أخرى حتى اتجه الفكر أخيرا كما قال الأستاذ عبد اللطيف

الطيباوى إلى وجود صلة بين فلسفة اخوان الصفا من جهة وعقائد الاسماعيلية من جهة أخرى وهناك نسخ خطية من هذه الرسائل توجد فى مكتبة ميونيخ فى ألمانيا وفى دار الكتب المصرية ومكتبة المغفورله أحمد باشا تيمور وفى خزائن ولى الدعوة الفاطمية باليمن والهند . والغريب أن كل هذه النسخ منسوبة الى الحكيم مسلمة المجريطى ماعدا النسخ المحفوظة فى اليمن . وكانت الدعوة الفاطمية اليمنية تهتم برسالة الجامعة منذ أواخر عهد السلاطين الصليحيين اهتماماً بالغا . وقد عرفت الرسالة عندهم منذ القرن السادس وكانت تعرف باسم « الجامعة » وهم لا ينسبونها إلى المجريطى ، بل يقولون إن الرسالة الجامعة لب الرسائل وروحها ؛ وهي الرسالة المذكورة فى رسائل اخوان الصفا . وكان الداعى ابراهيم بن الحسين الحامدى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ أول من أشار فى كتابه (كنز الولد) إلى الرسالة الجامعة فى عدة مواضع ونقل منها عبارات كثيرة .

ولهذه الرسائل أثر كبير فى اليمن ، حتى لكان الدعاة يعتبرونها بمثابة (قرآن الامامة) وقد ذكر الشيخ السبقى أنه سمع بعض العلماء يقول : ان رسائل اخوان الصفا هى القرآن بعد القرآن وهى قرآن العلم ، كما أن القرآن قرآن الوحى ؛ وهى قرآن الامامة ، وذلك قرآن النبوة .

وقد ادعى اخوان الصفا أن الرسائل تتضمن علوم بيت النبى (صلعم) . ويظهر هذا فى قولهم : (واعلم يا أخى بانا قد عملنا احدى وخمسين رسالة فى فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والأنموذج ، لكيما إذا نظر فيها اخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها وعرفوا حقيقة ما هو مقرون بها من تفضيل أهل بيت النبى (صلعم) لأنهم خزان علم الله ووارثو علم النبوات تبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة ...)

وقالوا كذلك (من أراد أن يدخل مدينة العلم وجنة الدين فليأت الباب كما قال النبى : انا مدينة العلم وعلى بابها . ومن أراد أن يستفيد من هذه العلوم فعليه أولا معرفة الباب . وهى معرفة الحدود ، ومن عرف حدود الدين فقد دخل الجنة ، جنة الدعوة والدين الاختيارى إذ لا اكراه فيه)

٣٠ ، ٣٤

كل هذا الغموض وهذا الابهام الذى اكتنف هذه الرسائل مبعثه عدم افصاح الاخوان عن حقيقتهم ، وهذا طبيعى ، لأنهم كانوا جماعة سرية غرضها قلب النظام السياسى السائد فى العالم الاسلامى وقتئذ عن طريق التأليف ، أو عن طريق الاغراء على اعتناق الفكرة . لهذا سعوا إلى بث دعاياتهم فى رسائلهم هذه عن طريق الكلام ، متفادين اللجوء إلى أى اجراء آخر مما قد يعتمد عليه فى الانقلابات التى ذخر بها التاريخ — ولقد أرادوا تغيير الأوضاع وقلب النظريات عن طريق انشاء فلسفة جديدة تخلق جوا وأناسا جديدين بالنسبة للفرد وبالنسبة للجماعة . وكانوا فى هذا كله يسعون بجد واهتمام الى هدم بناء الدين القديم وتأسيس دولة الخير ؛ يصرف الأمور فيها علماء حكماء أخيار . وكانت كل أعمالهم ومحاولاتهم هذه تتم عن طريق خفى مقنع ، يمكن أن نقول عنها إنها أعمال كان يشوبها الغموض من كافة نواحيها .

وكانوا كذلك يحاربون أهل الفكر المتزمت ، ويطالبون بحرية الفكر وحرية القول وحرية الفرد . والغريب أنهم كانوا يطالبون بتحقيق أمور هى فى يومنا الحاضر هدف الناس وهدف الساسة ؛ وكأنهم استشفوا منالبق الغيب وعرفوا أن العالم لا يصلح إذا وضع زمام الأمور فى أيدى الشيب « الذين اعتنقوا الآراء الفاسدة والعادات الردية والاخلاق الوحشية مع استبعاد الشباب السالى الصدور ، الراغبين فى الآداب ، المبتدين بالنظر فى العلوم . »

والكلام عن الرسائل وما جاء فيها كلام طويل ، إذ تضمنت كثيرا من العلوم الفلسفية والهندسية والشرعية والأدبية كما تضمنت غرائب الحكم وطرائفها ولسنا اليوم بسبيل التحدث عنها وانما نستطيع أن نتكلم عن ناحية أخرى من هذه الرسائل ولو أنها ليست فى صميمها ، وانما تدور حولها .

فقد قصد الاخوان من وضع رسائل الدعوة لمذهب سياسى ودينى جديد ، ولكنهم عرفوا أنهم إذا ما قاموا بدعوتهم سافرة فانها تكون عرضة للقيل والقال ، كما تكون عرضة للجدل الرخيص . فآثروا أن يبثوا دعوتهم فى تضاعيف أمور أخرى ويقدموها دواء للناس داخل غطاء ، فكانوا يبثون دعوتهم فى صور مقالات أدبية ، وطورا فى مباحث دينية ، لا تحمل صبغة الدعاية ولكنها تظهر بمظهر البحث العلمى أو الأدبى .

صور من الشعر الحديث في العراق

الاستاذ ابراهيم الوائلي
الرصافي (٢)

وفي قصيدة الرصافي « رقية الصريع » استعراض لأوضاع الأتراك والطرق التي يسلكونها لبلوغ المراكز الحكومية والوصول إلى كراسي الوظائف . وتبدأ هذه القصيدة بالحنين إلى العدل الذي طال انتظاره وضاق الصبر عنه ، وبالسخط على هذه الحكومة التي انحرفت عن الطريق المستقيم فنشرت الفظائع وكتبت صكوك العدل حبرا على ورق ، وجعلت الوظائف سلعا تباع وتشترى ، فلا يستطيع شراءها إلا الغني الجاهل بما نهب وارتشى ، ويعجب الشاعر من أن هذه السوق التي تباع بها الوظائف وتشترى تسمى دار الخلافة :

يا عدل طال الانتظار فعجل ... يا عدل ضاق الصبر عنك فأقبل
كيف القرار على أمور حكومة ... حادت جهن عن الطريق الأمثل
في الملك تفعل من فظائع جورها ... مالم تقل وتقول مالم تفعل
ملأت قراطيس الزمان كتابة ... للعدل وهي بحكمها لم تعدل
أضحت مناصبها تباع وتشترى ... فغدت تفوض للغني الأجهل
تعطى مؤجلة لمن يبتاعها ... ومتى انقضى الأجل المسمى يعزل
فيروح يسرى ثانيا وبما ارتشى ... قد عاد من أهل الثراء الأجزل
فيظل في دار الخلافة راشيا ... حتى يعود بمنصب كالأول
سوق تباع بها المراتب سميت ... دار الخلافة عند من لم يعقل !!

ويعود الشاعر إلى رأيه السالف في هذه الحكومة المستبدة :

أبت السياسة أن تدوم حكومة ... خصت برأي مقدس لم يسأل
مثل الحكومة تستبد بحكمها ... مثل البناء على نقاً متهيل

ويتفق الرصافي مع الزهاوي في مروق الخليفة العثماني من هدى النبي وتركه أحكام القرآن . يتفقان في الفكرة والأسلوب والاستفهام الذي ينطوي على استنكار شديد لأعمال هذا الخليفة ، فقد رأينا الزهاوي يثور على الخليفة ويشجب أعماله وذلك بقوله :

وغريب أن يصل هؤلاء المتقدمون إلى ما وصل إليه العلم الحديث اليوم من تفضيل بث الدعوة في شيء من الغموض أو اللف والدوران ، ونحن نجد اليوم الدول الحديثة وأصحاب الأفكار يقومون بنشر ما يريدون عن طريق كتب أو عن طريق المجلات أو الصحف ، أو عن طريق معاهد يؤسسونها باسم العلم والدرس والثقافة . وها نحن نرى بيننا وحولنا كثيراً من هذا مما يضيق المقام عن سرده . وكأني بهؤلاء الاخوان قد توغلوا في النفس البشرية حتى وصلوا إلى النقطة الحساسة فيها فعرفوا قبل مئات السنين هذه الحقيقة وعرفوا الطريق الذي يصل بهم إلى الغاية .

وليس فينا من ينكر عليهم أدبهم وغوصهم لإلتقاط المعاني والألفاظ واستخلاص الآراء . ولسنا ننكر عليهم توسعهم في المعرفة وامتلاكهم لناصية الكلام والبلاغة والبيان . ولكننا نعرف أنهم كانوا يريدون بث دعوتهم على نطاق واسع ونشرها بين الناس على كافة طبقاتهم ، غير مقتصرة على طائفة ولذلك عمدوا الى وضعها في أسلوب بسيط ممتع تستطيع العامة قبل الخاصة أن تفهمه وأن تستوعبه .

وثمة حقيقة أخرى تظهر بوضوح مدى التفكير البعيد الذي سبقنا الجماعة إليه قبل مئات السنين ، فقد حدث أنه بعد أن ألفت الرسائل أرسلت سرا وبواسطة مبعوثيهم إلى بعض المدن الاسلامية . وفي وقت وفي ساعة متفق عليهما ظهرت هذه الرسائل في مساجد هذه البلاد المهمة وأمكن الاطلاع على ما فيها . وقد يكون هذا جائزا في عصرنا الحالي ، عصر السرعة ، حيث يقوم التليفون واللاسلكي والطائرة . أما يوم كانت واسطة الانتقال الوحيدة الدابة والجمل فانه أمر يدعو إلى الدهشة وإلى إعمال الفكر ... وهكذا سبقنا اخوان الصفا إلى كثير مما نعمد إليه اليوم ، وهكذا سبقونا في الفكرة ثم في كيفية التنفيذ .

حسين الهاشمي

أيأمر ظل الله فى أرضه بما نهى الله عنه والنبى المبجل

ونرى الرصافى هنا يعيد هذه الثورة :

أيكون ظل الله تارك حكمه المنصوص فى آى الكتاب المنزل ؟
أم هل يكون خليفة لرسوله من حاد عن سنن النبى المرسل

وقصيدة عنوانها « آل السلطنة » وقد نظمها على أثر المرسوم الذى صدر بزيادة رواتب البيت المالك ومن يمت إليهم بالمصاهرة والقرابة فى الوقت الذى كانت تركيا تعانى فيه نقصا فى الخزانة ومن هذه القصيدة :

هم يعدون بالمئات ذكورا وإناثا لهم قصور مثاله

أما حياة هؤلاء فانهم :

يأكلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله

وهم فى حياتهم هذه قد :

حملونا من عيشهم كل عبء ثم زادوا أسهارهم والكلاله

وهذه الحالة التى تدعو إلى الألم :

هى منهم دناءة وشنار وهى منا حماقة وضلاله

وقصيدة عنوانها «تنبيه النيام» وهى لا تقل ثورة وسخطا عن القصائد التى مرت :

عجبت لقوم يخضعون لدولة يسومهم بالموبقات عميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها وأموالها منهم ومنهم جنودها

ولا نريد أن نطيل الأخذ من قصائد الرصافى أيام الاستبداد العثمانى فهى كثيرة وكلها على وتيرة واحدة فى الحث على النهوض وتحطيم الأصفاد وأغلال العبودية ، وفى وصف الظلم الذى كان يقع على العراق وغير العراق من الخلفاء العثمانيين وولاتهم .

والآن ننتقل إلى المرحلة الثانية من شعره السياسى وهى مرحلة الدستور . وسنجد الرصافى فى هذه المرحلة بالرغم من الثغر مطمئن النفس ، هادىء الأعصاب لا جموح ولا ثورة ، ولا سخط ولا تذمر لانه استقبل عهدا جديدا كان يتمناه الأحرار ويعملون من أجله فجاءت الأمنية ناضجة دانية القطوف .

ونحب أن نجتزىء من شعره فى هذه المناسبة ما يسمح به البحث وما يكفى فى مجال الشاهد . قال فى قصيدة عنوانها (بعد الدستور) :

سقتنا المالى من سلافتها صرفا وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا
وزفت لنا الدستور أحرار جيشنا فأهلا بما زفت وشكرا لمن زفا
ولاحت لنا حرية العيش عندما أماطت لنا الأحرار عن وجهها سجفا

وهى قصيدة طويلة يتعرض بها لكامل باشا الصدر الأعظم الذى لم يعط هذه الصدارة حقها واختص بالحكم أنصاره ومعاونيه ونسى البلاد وأهلها حتى أغضب الدستور والأمة فثارت عليه .

نحا أن يتم الدست فيها لحزبه علينا وظن الأمر فيها نحا يخفى
لقد أغضب الدستور فعلا ونية
ومن أعلنوا الدستور والشعب والصحفا

ثم يخاطب الصدر الجديد ومجلس النواب ويذكره بالعراق وما يجرى به :

فيا أيها الصدر الجديد انتبه به فاياك أن تطغى وأن تشتى العطفا
ويا مجلس النواب سر غير عاثر إلى المجد لا تلقى كلا لا ولا ضعفا
ولا تنس مغبر العراق وأهله فإن البلاء الجم من حوله احتفا

وقصيدة أخرى عنوانها « تموز الحرية » وتموز هو شهر بوليه وفيه كانت عودة الدستور :

إذا انقضى « مارت » فاكسر خلفه الكوزا
واجعل بتموز إن أدركت تموزا
أكرم بتموز شهرا ان عاشره قد كان للشرق إكراما وتعزيزا
شهر به الناس قد أضحت محررة
من رق من كان يقفو إثر جنكيزا

ومن المصادفات الجميلة ان شهر تموز كان فيه انتصار الفرنسيين على الحكومة وهدمهم سجن الباستيل ، فالرصافى يتحدث عن هذه المصادفة ويقارن بين انتصار الفرنسيين الثوار وبين انتصار الأحرار الدستوريين فى تركيا :

سل أهل (باريز) عن تموز تلق لهم
يوما به كان مشهودا لباريزا
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم
بسالة هدت البستيل مبزوزا
وان تموز شهر قام فيه لنا
على البقاع لواء العز مركوزا
فى شهر تموز صادفنا لما وعدت
بيض الصوارم بالدستور تنجيزا

هى المساواة عمتنا فما تركت
فضلا لبعض على بعض وتمييزا

ويستمر الرصافى على هذا النسق فى مدح عموز حتى يتمنى أن ينظم النجوم ويخطها بأقلام من الماس ومداد من الذهب على الأفق الرحيب مدحاً لهذا الشهر المبارك .

وقصيدة « المجلس العموى » وفيها يشير إلى مجلس النواب التركى الذى كان انعقاده نتيجة للدستور :

يا شراق بشرك أبدى شملك الفلك وزال عنك وعن آفاقك الحلك
أضحى بك القوم أحرارا فداعتصموا من النجاة بحبل ليس ينبتك

والقصيدة طويلة يدعو فيها الشاعر إلى نشر العلم والتعليم وتشييد المدارس لأن كل مدرسة تهدم سجنا أن اعتدوا فى الأرض أو فتكوا .

ولا نستطيع بهذه المناسبة أن نغفل الاشارة إلى قصيدته : « وقفة عند قصر يلدز » وقد نظمها بعد خلع السلطان عبد الحميد ونفيه إلى سلانيك . وهنا يظهر الشاعر كل ما فى نفسه من حنق وغيظ ازاء هذا القصر الذى شهد كثيرا من مصارع الأحرار كما شهد أقصى درجات البذخ والترف :

لمن القصر لا يجيب سؤالى أهلات ربوعه أم خوالى ؟
مشمخر البناء حيث تراءى باليا مجده بلى الاطلال
لم تصبه زلازل الأرض لكن قد رمته السماء بالزلزال

ثم يخاطب القصر :

قصر عبد الحميد أنت ولكن أين يا قصر أين عرش الجلال
أين خاقانك الذى كان يدعى قاسم الرزق باعث الآجال

ويشير إلى فترة الثلاثين سنة التى مرت بين إلغاء الدستور وعودته :

قد تخونتنا ثلاثين عاماً جئت فيها لنا بكل محال
تلك أعوام رفعة الأدانى تلك أعوام حطة للأعالى

وبعد وقفة طويلة إلى جانب القصر يودعه بمثل ما حياه :

فابق يا قصر عابس الوجه كيما ينهض العدل ناشطا عن عقال
إنما نحن أمة تدرأ الضيم وتأبى أن تستكين لوالى

ويلاحظ أن الرصافى حين يتحدث بضمير المتكلمين فى كل قصائده مما يدل على أن ميله للدستوريين وانحيازه إلى جانبهم لم يكن فى حدود الشعور والتفكير فحسب وإنما كان فى مجال العمل والسعى أيضا .

هذه نماذج استعرضناها شاهدا على موقف الرصافى من الدستور وهى جزء مما نظمه فى هذه المناسبة وقد دلت على ميله الشديد إلى الدستوريين وتأييده لمواقفهم .

هذا الشاعر الذى ثار على الاستبداد غير هياب ولا وجل وحمل معول الشعر يهدم به صرح عبد الحميد مع الهادمين حتى استتب الأمر وأعلن الدستور فاستبشر به وفرح وغنى ومجد وجدناه إلى جانب ذلك يمدح الأتراك ويتقرب إلى بعض ولاتهم ، وهذه هى النقطة الثالثة التى نحب أن نشير إليها عند الرصافى وندرسها على ضوء شعره لنرى إلى أى حد كان يميل إلى العثمانيين وفى أى نطاق كان يمدح من يمدحه منهم . والذى نجب الإشارة إليه أن المدح الذى نقصده هنا لا يعنى شعره فى عودة الدستور الذى كان يستلزم أن يمدح به أنصار الدستور من الأتراك أنفسهم وإنما يعنى المدح الذى قاله فى غير هذه المناسبة حتى نستطيع أن نعد هذا الشعر مرحلة قائمة بذاتها ولونا يتميز عن الألوان الأخر .

للرصافى فى مدح الأتراك قصائد نظمت فى مناسبات خاصة كانت تستدعى الشاعر أن يستجيب لها ولم يكن فى هذه القصائد كما يبدو — مدفوعا بدافع الطمع أو الزلفى ولا مأخوذا بالمدح المجرد بل اتفق أن جدت بعض الحوادث التى هزت إحساس الشاعر وأهابت به إلى أن ينظم فيها . ومن هذه القصائد قصيدة فى مدح « حازم بك » والى بغداد وعنوانها « السد فى بغداد » وكانت مناسبتها انكسار أحد السدود وتسرب المياه إلى بغداد وقد بذل هذا الوالى أقصى ما تستطيع لدرء الخطر عن المدينة ولم نجد فى فى القصيدة إلا وصفا للسد وحوادث الغرق التى نجمت عن انكساره ؛ وفيها بعض الأبيات التى تشير إلى ما بذل الوالى من جهد يستحق التنويه به . وليس فى القصيدة أى مدح للدولة العثمانية .

وقصيدة عنوانها « عند سياحة السلطان » نظمها فى مدح السلطان رشاد عندما ساح فى بلاد الألبان ومقدونية ابان الفتن التى كانت تشملها الأقطار البلقانية وكان للعرب نصيب كبير فى اخماد تلك الفتن فكان أن تعرض الشاعر لهذا الحادث ومجد العرب وموافقهم :

اما بنو العرب فالاخلاص يرفعهم إلى مقام على الاقوام ممتاز
إذ هم عماد لعرش أنت ماسكه فاضرب بنات العدا منهم بأبواز

ولم يكن الشاعر ليمدح السلطان إلا لأنه كان متمسكا بالدستور :

ماذا على ملك الدستور من وطن لو جال منه بأطراف وأجواز

فالقصيدة إذن مستوحاة من العقيدة الدينية والعاطفة القومية والمبدأ الدستوري وهذه المنابع الثلاثة تكفي لأن يبرر موقف الشاعر هنا .

وقصيدة عنوانها « الوطن والجهاد » قالها عندما دخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الكبرى وقد دعا فيها العرب والمسلمين إلى الجهاد وقد شاركه في هذه كثير من الشعراء آنذاك ، ولا لوم على الشاعر في هذه الصرخة ما دام المهاجمون هم الأفرنج وما دامت البلاد المغزوة هي بلاد المسلمين ، وما دام الحكم التركي دستوريا :

ياقوم إن العدا قد هاجموا الوطنا
فانضوا الصوارم واحموا الاهل والسكنا
ان لم تموتوا كراما في مواطنكم
منع أذلاء فيها ميتة الجبنا
لا عذر للمسلمين اليوم إن وهنوا
في هوشة ذل فيها كل من وهنا

ويندد بموقف السلطان حسين كامل ووزيره حسين رشدي باشا في مصر لأنهما شايعا الأنجليز في هذه الحرب ولم يساعدا الحكومة العثمانية في حربها مع الأعداء :

قل للحسينين في مصر ويد كما قد خنتما الله والإسلام والوطنا
شايعتما الأنجليز اليوم من سفه فالله ما كان هذا منكما حسنا

كما ندد حافظ بثورة الهاشميين على الأتراك بتأييد الأنجليز .

وقصيدة عنوانها (نواح دجلة) وقد نظمها جوابا على عتاب الشاعر التركي سليمان نظيف وكان هذا الشاعر قد نظم قصيدة يعاتب بها بغداد على أثر سقوطها بيد الأنجليز فأجابه الرصافي عليها ، وقصيدة الرصافي هذه على ما بها من مدح للعثمانيين يبررها كونها مجاملة شاعر لصديقه وكونها نظمت بعد احتلال الأنجليز الذين لم يستقبلهم الشاعر — كأي شاعر آخر — إلا كما يستقبل أي فاتح مستعمر . ويظهر شاعرنا في هذه القصيدة بمظهر الوفي المحافظ على العهود فدجله بعد العثمانيين قد أصبحت نهبة للعدو الجديد فلا مساؤها مساء ولا صباحها صباح وانها تتمنى لو يشيعها أولئك الذين ألبسوها تاجاً من فخارهم ووشحوها براية الهلال :

كيف يغضون عن إغاثة واد زانه من ودادهم اوضاح
فعليه من فخر عثمان تاج وله راية الهلال وشاح

ومع هذا فإن الرصافي لم يترك عاطفة الوفاء تتغلب على نزعته الواقعية التي كانت تهاجم الأتراك وتثور على سياستهم بين حين وآخر ؛ فهذا نهر دجلة يتحدث على لسان الشاعر قائلا :

أنا باق على الوفاء وان كان بقلبي ممن أحب جراح
فاليهم ومنهم اليوم أشكو بلغيهم شكايتي بارياح

وإذا كان لابد أن نقف لحظة مع المنددين بمواقف الرصافي إلى جانب الأتراك فإنما نقف معهم في قصيدته يمدح بها « مصطفى كمال » عندما أنتصر على اليونان سنة ١٩٢٣ م أي في الوقت الذي كان يعيش فيه الرصافي تحت ظل الحكم الوطني في العراق وليست مآخذنا على الشاعر أن يمدح مصطفى كمال وهو محرر تركيا من استبداد السلاطين ، ولا أن يمدحه في هذا الوقت والعراق ينتقل من استعمار إلى آخر وإنما نأخذ عليه اندفاع العاطفة في أقصى أشواطها إلى تمجيد اليونان ونكران تاريخهم القديم وفضلهم على العقل البشري فيقول :

هم اليونان ألأم كل قوم واخوف في الوغى من فرخ قبج
أرق سجية منهم وأرق حير الوحش سارحة بمرج
فلا تغررك أوجههم بياضا فان طباعهم كطباع زنج

وقد يكون عذر الشاعر أن هؤلاء الذين حاربهم مصطفى كمال هم من أوشاب اليونان .

هذا هو الرصافي في مواقفه السياسية ؛ وهذا هو الرصافي الشاعر العاطفي كما عرفناه في حدود العاطفة التي لا تخضع لمقياس ولا تسير في خط واحد بل هي كصفحة الغدير تتموج في موكب النسيم وتثور في هبوب العاصفة وتهدأ حين تصفو الاجواء . ولو أننا درسنا الرصافي في نطاق النزعتين والخطين لأخرجنا الشعر عن طبيعته والشاعر عن مكانته ، وليس هذا من النقد النزيه في شيء ولا من حق الشاعر في مكان .

ابراهيم الوائلي

هذا الخـــط المستقيم

الذي يفصل بين شقي الوادي

للاستاذ محمد صبحي الحكيم

إنه لما يلفت النظر لأول وهلة أن يطالع على خريطة سياسية للقارة الافريقية تلك الخطوط المستقيمة الحمراء التي اعتبرت وما زالت تعتبر حدوداً سياسية . وخاصة ذلك الخط الذي يفصل بين شطري وادي النيل ، مصره وسودانه .

وليس الغريب هنا أن يقسم وادي النيل بواسطة خط مستقيم فحسب ، ولكن الأغرب من هذا اعتبار الأراضي الواقعة جنوبي هذا الخط قطراً له كيانه الدولي. وقد يعجب القارىء إذا عرف أن كلمة «السودان» لم تكن تعني حتى آخر القرن الماضي ذلك الجزء من وادي النيل المعروف بذلك الإسم في الوقت الحاضر؛ ولكن تلك الكلمة كانت أعم وأشمل وقد كانت تطلق على جزء كبير من قارة افريقيا يمتد من البحر الأحمر في الشرق حتى المحيط الأطلسي في الغرب ، ويتضوى تحت تلك التسمية مايطلق عليه الآن افريقيه الغربية الفرنسية والتي مازال يطلق عليها في الأوساط العلمية السودان الغربي .

وقد نص في اتفاقية سنة ١٨٩٩ على ما يدعم كلامنا هذا؛ فقد جاء في المادة الأولى منها ما يأتي :

« تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الأراضي الكائنة إلى جنوبي الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض »

وهكذا أنشأ الوفاق حدوداً صناعية من الطراز الأول بين الشمال والجنوب. وليس أدل على «صناعيتها» من أنها قد حددت بأحد خطوط العرض في الكرة الأرضية

ثم أصدر قرار بجعل نهاية الحدود بين مصر والسودان خطا يمتد غربي النيل على مسافة مائتي متر شمالي البرية الكائنة بناحية فرص ، وشرقي النيل إلى البرية الكائنة بناحيه أدندان.

وكأن نهر النيل قد أبى أن يقطعه خط صناعي مستقيم فكان هذا التحويف في الحدود الذي يدخل حلفا داخـــل السودان ويخرجها من الأراضي المصرية ، وكأن سكان وادي حلفا « سودانيون » ومن يسكنون شماليا « مصريون » .

وسواء كان هذا التحويف أو لم يكن فقد فصلت تلك الحدود بين جماعات ترتبط بروابط الدم واللغة والدين وهي الجماعات النوبية التي تسكن الجزء من وادي النيل الممتد من أسوان في الشمال حتى بلدة الدبة في الجنوب . ففي الشمال — داخل الحدود المصرية — بين أسوان وبلدة المضيق يعيش السكنور الذين يبلغ عددهم ٤٣٫٠٠٠ نسمة . ثم يحتل المضيقيه العربي الواقعة بين كرسكو ووادي حلفا ويقدر عددهم بنحو الثلاثين ألفا . وإلى الجنوب منهم يمتد وطن السكوت والمحس من وادي حلفا حتى قرب دنقلة ؛ وهؤلاء كثيرا ما ينتقلون إلى مصر طلبا للرزق ، ثم يليهم الدناقلة الذين يسكنون جنوبهم حتى بلدة الدبة .

واخواننا النوبيون وإن كان المستعمر قد فرق بينهم بواسطة « خطه المستقيم » إلا أن لغتهم تربط بين جماعاتهم المختلفة كما تربط بينهم كذلك وحدة الدين ، فقد كان النوبيون أيام الفراعنة يدينون بالدين المصري القديم ؛ وفي أيام المسيحية بمصر دخلت الديانة المسيحية بلادهم . ولما دخل العرب مصر ظلت بلاد النوبة برمتها بعيدة عن التأثير العربي الإسلامي وتأسست بالنوبة دولة مسيحية بقيت مدة طويلة مستقلة عن البلاد المصرية إلى أن اعتنق أهلها آخر الأمر الدين الاسلامي ، وإن كانت اللغة العربية لم تجد الطريق أمامها سهلا ممهدا في بلاد النوبة ، فقد ظل النوبيون حتى الوقت الحاضر محتفظين بلغتهم النوبية المتعددة اللهجات

وليت الأمر قاصر على أن فصل هذا الخط بين النوبيين، ولكنه فصل كذلك بين جماعات البشاريين التي تسكن الصحراء الشرقية وتمتد شمالا حتى بلدة دراو وتعيش شعبة منهم شرقي أسوان . وقد فرق (هذا الخط المستقيم) بين بطونهم دون مبرر ، وفكك وحدتهم دون داع ، وخلق المشاكل بينهم بسبب تقسيم الآبار ومناطق الرعي التي تعودوا أن يستفيدوا منها فائدة مشتركة، وجرى العرف بينهم على أن تكون مصادر الماء وأماكن الرعي ملكا مشاعاً للجميع .

وكأن الطبيعة قد أبت مرة أخرى أن يظل هذا الخط مستقيما ، ولكن المستعمر حار في أمر هذه القبائل فأبقى على الخط المستقيم

(سياسيا) واختلق حداً آخر إلى جانب الحد السياسي ، أو بالأحرى اختلق نوعا آخر من الحدود لم تعرفه دولة من دول العالم قبل ذلك ، وهو الحدود الادارية ، وهو خط متكسر يتجه قليلا في جنوب الحدود السياسية ثم ينحرف كثيرا في شمالها حتى يصل إلى البحر الأحمر ، والغرض منه ضمان توحيد الادارة في أرض القبيلة الواحدة ، إما تحت اشراف حكومة السودان وأما ضمن الادارة المصرية في الصحراء الشرقية ، واقامة نوعين من الحدود في هذا الجزء ان دل على شيء فانما يدل على أن الحدود العائمة غير طبيعية ، أو بمعنى آخر أن الطبيعة في هذا الاقليم لا تيسر الاصطلاح على حدود فاصلة من النوع المعروف الذي تتمشى فيه مقتضيات السيادة القومية مع الضرورات الادارية المحلية .

ولعل من الطريف أن نلحظ أن مساحة المنطقة التي سلخت من الادارة المصرية وأضيفت إلى ادارة حكومة السودان تبلغ أكثر من تسعة أمثال مساحة ما أضيف إلى الادارة المصرية من أراضي السودان ، ومع أن هذا الأمر قد لا يكون ذا خطر كبير أو صغير من وجهة النظر المصرية السودانية إلا أن المصورات والخرائط الجغرافية التي تطبع حديثا في بريطانيا بل التي تقوم بطبعها حكومة السودان ذاتها كثيرا ما تغفل أمر الحدود السياسية ولا تثبت إلا الحدود لادارية ؛ ومع ذلك فان المنطقة التي سلخت من مصر غنية بنباتها ، وهناك احتمال أن تكون غنية أيضا ببعض المعادن، فهي قرب البحر الأحمر ويوجد بها جبل علبة وغيره من المرتفعات، فاذا اكتشف بها بعض المعادن كانت مواقعها ومناجمها تابعة للسيادة المصرية من جهة، وخاضعة للادارة (الثنائية) من جهة أخرى ، وفي ذلك مافيه .. وإن كان المستعمر قد حاول أن يتجنب المنازعات بين القبائل والبطون على مياه مراعيهم فهو قد فرق بهذه الخطوط المتداخلة بين جماعات تجري فيها دماء واحدة وهي الدماء الحامية ، وتتكلم لغة واحدة هي اللغة التهداوية . هذا مع ملاحظة أن جماعات البشاريين انما هي وحدة ترتبط بباقي قبائل البجاه الأخرى التي تسكن في مصر الصحراء الشرقية بأكملها ويعيشون في السودان الشرق حتى الحدود الفاصلة بين السودان والحبشة من ناحية وبين السودان وارتيريا من ناحية أخرى .

وهكذا يتضح جليا أن المستعمر قد تجاهل كل تلك الحقائق في سبيل تحقيق أغراضه ومراميه، وأخيراً قد تجاهل كذلك التاريخ. ولسنا بصدد اثبات تلك الوحدة بين شتى الوادي منذ أقدم العصور ولكن يكفي أن نذكر أن مصر والسودان - منذ أن فتح السلطان سليم الأول جنوب وادي النيل أول مرة عام ١٥٢٠م ووصلت جيوشه إلى الشلال الثالث، حتى وضع الانجليز أقدامهم في السودان، كانت مصر والسودان خلال تلك الفترة الطويلة قطراً واحداً لا تفصل بين شطريه حدود، تديره حكومة واحدة ، ويخضع لسيادة واحدة، ويذود عن اقليمه جيش واحد وتسري في شطريه قوانين واحدة وتشرف على تنفيذها سلطة واحدة ويستمتع فيه سكان الجنوب وسكان الشمال بحقوق واحدة. ويلتزمون بواجبات وتبعات واحدة

حقق الله هذه الوحدة المباركة حتى تمسح (هذا الخط المستقيم) من خرائطنا ، ويمحونه من خرائطهم .

محمد صبحي عبد الحكيم
ليسانسيه في الآداب

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، والذوق ، وآلة البلاغة ... الخ

والذوق من فصوله المبتكرة المعروفة ، العامية الأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك .. الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد.

الشعر المصري في مائة عام :

علي الليثي

للاستاذ محمد سيد كيلاني

١٨٢٢ — ١٨٩٦

— ٢ —

في هذه الأبيات يعبر الشاعر عن إحساس داخلي مفعم بالحزن، ويترجم عن شعور صادق فياض بالأسى على ما حاق بالوطن من النكبات الجسام ، ويتحسر على أيام الرخاء والصفاء. ويندب مرتع الحظ والأنس الذي أقفر . ولاشك في أننا نرى مظاهر الحسرة والألم بادية بوضوح في قوله :

كان إهليمنا رياض صفاء فيه للوارديـن أعذب منهل

بساطة في التعبير ولكن لا تكلف ولا تصنع .

وقال :

من رآه يقول توفيق مصر أبصر الناس بالأمور وأعدل
قد أمنا الزمان فيه ونمنا آمنين الخطوب لا نتململ

وهنا يذكر فترة الرخاء القصيرة التي أشرقت على البلاد قبيل جنوح الحركة العرابية إلى الطيش الذي أضر بالأمة المصرية ضرراً بليغاً . وعبارة البيت الثاني ضعيفة ، ذلك لأنه قال « أمنا الزمان » ثم قال « ونمنا آمنين الخطوب » والجملتان بمعنى واحد .

وقال :

تتهادى في ظل أسمى مليك من سجاياه كل خير يؤمل
فسرت أعين الحوادث فينا فاطرحنا الوقار والأمر أعضل

البيت الأول تام المعنى . وفي البيت الثاني انتقل إلى الاعتذار فزعم أن الدهر قد حسد المصريين فتركوا ما طبعوا عليه من الهدوء والسكينة . وفي تعبيره بضمير المتكلم في قوله « فاطرحنا » اعتراف صريح منه باشتراكه مع العرابيين في حركتهم . ويظهر في البيتين شعور الحزن والندم . ورد الحركة العرابية إلى حسد الدهر أمر لطيف واعتذار جميل وقال :

ورأى غرنا من الحلم أمراً غره فابتنى الذي لا يحصل
وإذا المرء كان بالوهم يبني فخيال الظنون ما قد تمثل
وبنى قوم سموا لإدراك أمر دون إدراكه الجبال ترول

والنفر هو عرابي الذي أظهر جهلا عظيما وقصر نظر في الشؤون السياسية . ومعنى البيت تافه . والبيت الثاني جيد المعنى أراد أن يجريه مجرى الحكم . أما معنى البيت الثالث فقد ورد في البيت الأول .

وقال :

ما أصروا عليه إلا أضروا بأناس من نابه ومنفل
ذاك يسعى على التقية خوفا وسواه يسعى اتكيا يجمل
لو أصابوا الرشاد عند ابتداه كانت الغاية الجميلة أمثل

ذكر في البيت الأول أن العرابيين بإصرارهم على خطتهم قد ألحقوا الضرر بالناس أجمعين . وفي البيت جناس بين « أصروا » و « أضروا » وطباق بين « نابه » و « منفل » . وفي البيت الثاني يذكر أن الذين انضموا إلى العرابيين كان منهم المتطوعون المؤمنون بما يدعو إليه عرابي وزملاؤه، ومنهم المكرهون الذين أرغموا على تأييد تلك فشايعوها رهبة لا رغبة . ومعنى هذا البيت مأخوذ من الواقع لا من الخيال .

وفي البيت الثالث يقول لو أن العرابيين منذ بداية أمرهم وقفوا إلى الصواب لحمدت العاقبة . وهو في هذا يستمد من الواقع ويستوحي القول من الحقيقة المرة التي صدمت الأمة . وفي البيت الأخير نرى روحاً وطنياً سامياً . إذ نظر الشاعر إلى هزيمة العرابيين أمام الانجليز على أنها معرة لحقت بالأمة في حين أن الشايعين للخديو والراغبين في التزلف إليه اعتبروا هزيمة الجيش المصري من نصر الله الذي جاءهم والفتح ، وراحوا يتغنون بفوز الانجليز وبنجاح أساطولهم وجيشهم في القضاء على العرابيين .

ثم قال :

آه من رقدة الحلوم ودهر أيقظتنا صروفه إذ تبدل
كانت الناس في ظلال نعيم تجتني من ثمار غصن تهدل
مالنا لم نقم بجد وندعو من عدا للهدى ونفصح من مثل
مالنا كلنا سوى القول منا قد سلكنا سبيل غاو مضلل
قد تساوى النبي والمتغابي وعليم من جاهل صار أجهل

هـذه أبيات مؤثرة لأنها صادرة من أعماق الفؤاد فيها تأوه وتوجع وتحسر وتفجع وبكاء على ما أصاب الوطن وأهله . ويلوم الليثي العقلاء من المصريين لأنهم لم يسعوا في إزالة الشقة التي فصلت بين الخديو والعرابيين والتي كانت نتيجتها الوبال والخسران . وهو من غير شك صادق في شعوره، مخلص الإخلاص كله فيما يتحدث به . وفي هـذه الأبيات يعترف الشاعر بأن المصريين — سوى أقلية منهم — قد انخرطوا في سلك العرابيين وهو محق فيما يقول :

ثم قال :

قد جبنا وصاحب الجبن جان ... وهو بالطبع في الأنام مرذل
لو رزقنا السداد لانسد باب ... وحقنا دماء قوم تحلل
كان يا قوته المذاب مصانا ... فسقينا به الثرى إذ تهيل
كم غرسنا جماجماً وجسوما ... وجنينا الأسى بزلة من زل

من يقرأ هذه الأبيات ولا يذكر الدماء الغزيرة التي تلطخت بها أرض الأسكندرية والمحمسة والقصاصين والتل الكبير ؟ أجل لقد بكى الليثي بكاء الوطني على هطل الدماء التي سفكت والأرواح التي أزهقت . وناح على الأبرياء الذين قتلوا وخلفوا الأسى والحزن وقال :

يا ترى من يقوم عنا بعذر ... إذ أطعنا الغواة في كل محفل
حيث حدنا عن المليك وخفنا ... سطوة من عداه والقطر مقبل
حيث لا يرفع البريد شكاة ... وسلوك السلوك صار معطل
حيرة أدهشت أولي اللب حتى ... ما اهتدى للصواب منهم مجل
ذاك سر القضا وليس عجيباً ... أن يحار الأريب فيه فيذهل

في هذه الأبيات اعترف الليثي بأنه أطاع العرابيين وما لأم . وعذره في ذلك الخوف وعجزه عن إيصال شكواه إلى الخديو لانقطاع الأسلاك البرقية بين مصر والاسكندرية ، وتعطل البريد . وهذا ليس بعذر. فقد كان في استطاعته أن يلحق بالخديو كما لحق غيره . وكان في قدرته أن ينزوي في ضيعته متمارضاً كما فعل بعض الناس . وهو دون ريب متكلف في هذه الأبيات يقول غير الواقع ويحاول أن يخلق لنفسه عذراً يبرر به مسلكه . وأخيراً أحال الأمر على القضاء والقدر ، وهذا اندفاعه في تأييد العرابيين إلى سر خفي من الأسرار الإلهية . وماذا كان قائلا غير هذا ؟ أجل ! لم يجد الرجل أمامه غير ما تقدم .

وقال :

غير أنا لما أفقنا أرعنا ... من شؤون الميون دمعاً تسلسل
وبسطنا اللسان في ذم قوم ... إن ذكرناهم نقص ونخجل
ومددنا أكف ذل لولى ... شأنه البركم علينا تطول
آل مصر بغيره لا تلوذوا ... إذ هو الملجأ الملاذ لمن ذل
يا عظيم الجناب يا خير ملك ... سعده قد أباد من قد تغول

في هـذه الأبيات يذكر الليثي أنه لما انتهت الأمور بهزيمة العرابيين أفاق من أحلامه واصطدم بالواقع فبكى ندماً على ما فرط منه . وأخذ يلعن زعماء الحركة العرابية لما جنوه على أنفسهم وعلى مواطنيهم بجهلهم وقصر نظرهم ورعونتهم وطيشهم والليثي في قوله «وبسطنا اللسان ... الخ» يصور المصريين وقد تنكروا لتلك الحركة وشرعوا يتقربون من الخديو بالقدح في زعمائها. وفي البيت التالي تصوير لبعض من انهموا بموالاة العرابيين وقد هرعوا إلى ساحة الخديو طالبين العفو والصفح . ثم انتقل بعد ذلك إلى مدح الخديو فخاطب المصريين وحثهم على أن يلوذوا بجانب الخديو إذ هو خير ملاذ وأطيب ملجأ . وما أظن الليثي قصد مخاطبة المصريين الذين تسابقوا من تلقاء أنفسهم إلى ساحة الخديو رغبة أو رهبة. إنما أراد أن يظفر بالعفو فنهج نهجاً فيه إغراء للخديو بتحقيق أمنيته التي يصبو إليها . وذلك بتقريره أن الخديو هو الملجأ واللاذ لمن ذل . فهذا التقرير فيه حث وإغراء . وفي البيت الأخير يخاطب الخديو ويمدحه ويقول إن حظه الحسن قد أعان في القضاء على من شق عصا الطاعة من العرابيين. ومن الطبيعي أن يذكر الشاعر شيئاً كهذا في ذلك المقام .

وقال :

من بغى والوغى أثار فحكم ... في طلاه الحسام فالسيف فيصل
واجعل العدل عادل الرمح فيهم ... نافذاً قدر ما يعدل وينهل
واسقهم كالذي سقيناه إنا ... قد شربنا من بعد بعدك حنظل

كان الخديو توفيق يرتاح لمثل هذه الأبيات . ولذلك أكثر الشعراء من تحريضه على قتل زعماء الحركة العرابية، وإهدار دمائهم . ولو ترك له الأمر لما تردد في قتلهم . وقد جاء الليثي إلى الخديو من الناحية

التي يرتاح إليها، وضرب على الوتر الذي يسره . وذلك لا حقداً منه على هؤلاء الزعماء بل استرضاء للخديو واستدرار العطفه وهو لم ير في ذلك بأساً فمصير الزعماء كان قد تقرر . فتحريضه لا يقدم ولا يؤخر ، ولا يغير من هذا المصير . وعلاوة على ما تقدم فإن الليثي في هذه القصيدة لم يحزن على الزعماء ولم يبك على ما أصابهم إنما حزن وبكى على ما أصاب المصريين من الكوارث والخطوب التي دهمتهم من جراء قيام الحركة العرابية . أما قوله :

.. واسقهم كالذي تيناء ... الخ ، فتظاهر فيه الكذب . وأي حنظل هذا الذي سقيه ؟ وكان في استطاعته أن يتنزل في ضيفته . وما قال هذا إلا ليصور للخديو أن يد العرابيين امتدت إليه بالأذى وأنه قاسى منهم الأهوال وشرب الحنظل ، فيرثي الخديو له ويعطف عليه ويقرب منه إكراماً له وتقديراً على ما أصابه من شر العرابيين .

وقال :

واغتفر ذلة لمن جر رغماً ... لبلاه ولا منيع يؤمل
كم مليك عفا وأنت المفدى ... فوقهم همة فلا تتمجل
وامنح الناس من سجاياك عطفاً ... واجعل العفو موضع الشكر واعمل
فجدير بمجده ذات الخديوي ... كل فضل وليس للمذر محل

ذكر في البيت الأول أنه أرغم على الانضواء تحت لواء الحركة العرابية . ثم أخذ بعد ذلك يلتمس العفو بعبارات في منتهى البساطة لا غلو فيها ولا مبالغة ، ولا إسفاف في التذلل والخضوع . ثم قال :

غابق واستبق من رعاياك قوماً ... أملوا العفو من حياك المسبل
إن تدقق تدق أعناق ألف ... بل مئين من الألوف تقتل
والرعايا تضيع بين عدو ... ووالٍ له الفخار المؤثل

هكذا ختم الليثي قصيدته هذه ، مستمداً ختامه من الواقع . فالقائدين اشتركوا في الحركة العرابية كثيرون أو كما قال :

مالنا كلنا سوى القول منا ... قد سلكنا سبيل غاوٍ مضلل

فلو أن الخديو تشدد لقضى على حياة مئات الألوف . وقد أجاد في الجمع بين بقاء الخديو واستبقائه لقوم من رعاياه أملوا عفوه . ووفق في استخدام كلمة «رعاياه» في هذا المقام . وكأنه أراد أن يقول إن الذين تعفو عنهم ليسوا بأجانب إنما هم وطنيون وممن ترعاهم . فإذا لم يستشعر الخديو الحلم هتكت الرعية ، وكيف يبقى الراعي بغير رعية ؟ وكل هذا إغراء للخديو على ترك الغلو والمبالغة في معاقبة من انضموا تحت لواء عرابي

***

هذه القصيدة وإن كانت ضعيفة الأسلوب ، واهية العبارة إلا أنها خير ما نظم الليثي . ذلك لأنه لم يكن فيها متكلفاً ولا متصنعاً . إنما كان معبراً عن إحساس داخلي وشعور كامن في نفسه . وإذا قارنت هذه القصيدة بقصيدة عبد الله فكري التي نظمها في هذا الصدد لأدركت الفرق بين الرجلين . فالليثي بدا في هذه القصيدة وطنياً مخلصاً . بكى على ما أصاب الوطن ، وناح وتألم وتوجع وتحسر ، وذكر الضحايا والشهداء وقرر أن هزيمة الجيش المصري مرة كبرى لحقت بالأمة أما عبد الله فكري فقد بكى على نفسه وشرع يستدر عطف الخديو بعبارات الشحاذين . ومثال ذلك قوله :

أيجمل في دين المروءة أنني ... أكابد في أيامك البؤس والعسرا

وقوله :

وحسبي ما قدمت من ضنك أشهر ... تجرعت فيها الصبر أطعمه مرا

(الكلام صلة)

محمد سيد كيلاني

تاريخ الأدب العربي

للأستاذ احمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

طبع اثنى عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مصر بين التكتل والحياد (١)

للاستاذ ثروت أباظه

« ياعم واحنا مالنا » تعبير يطلقه قوم منا ، يحافظون على جهده وماسعهم الجهد ، يكفي الفرد منهم أن يلقي إلى داره نظرة وإلى جيبه أخرى حتى إذا اطمئن إلى قوت يومه ورأى قوت الغد على بعد يحتاج منه إلى أيسر محاولة لوى عنه عنقه وأغمض عينيه وأطلق القولة المستكينة « ياعم واحنا مالنا » .

ونحن اليوم نتساءل أنشارك في المعترك الدولي ونصير دولة تؤيد وجودها بالعمل إلى جانب الأمم أم نقبع ، في شمالنا الشرق من أفريقيا ننظر ، فإذا أعجبنا أمر استل كتابنا أقلامهم يمدحون ، وإن غضبوا شحذوها ناقدين . نتساءل فيما لا نتساؤل فيه إن كنا نريد العالم ليقول عن مصر إن شعارها الأوحد « ياعم واحنا مالنا » فنوما ، أو يقظة المتفرج لا يشارك بغير التصفيق أو السخط . . وإن شئنا من العالم نظرة ترفعنا إلى مستوى الأمم العاملة في الحياة ، المشاركة فيها بالسيف والثقافة ، وإن شئنا أن نثبت للعالم أن جيوش الفراعنة ومحمد علي هي هي جيوش الفاروق ، وأنها ليست — كما يظنون — جيوشا حسبها من القتال السير في التوديع والاستقبال . . إن شئنا ذلك فهلم !

ويا أيها الشباب انى اعيذكم وأنتم بواكير الأمل أن تمدوا إلى الأمنى أدرعا مسترخية لينة ، فإنها لا عفاها الله قتالة الحسن ، فتاكة الجمال ، تبدو في الملاحة المشرقة وتقتل في السكرة المنتشية والا يناس البهيج . . ها هي ذي تشير إلينا نحن الشباب أن نهب خلفها مرددين إن مصر قوية بجيوشها ، عتيدة برجالها ، جبارة بعتادها . . كلام إن قلناه فارت منا الدماء وثارت فينا الوطنية بعاطفة حادة لا سبيل لنا عليها — حتى إذا اطلقنا فيها العقل وقيدنا منها الثائر وجدنا قولنا قولا لا برهان وراءه ، فإن أكبر الجيوش اليوم لا تستطيع مطلقا أن تعتمد على نفسها دون مؤازرة الغير .

إن ميزانية تركيا تقارب ميزانية مصر . وتركيا تنفق على جيشها نصف ميزانيتها ، وهذه أكبر نسبة تنفقها دولة على جيشها ، وقد استطاعت تركيا بذلك أن تكون جيشا يقف مع أكبر جيوش العالم على قدم ، ومع ذلك فتركيا تعترف أن جيوشها لا تستطيع إلا أن توقف العدو حتى يدركها المدد . . فهي في حاجة إلى مدد ، وهي في حاجة إلى سند ، وهي بذلك تعترف .

أيها السادة ، قال القدماء : إن الإنسان لا يستطيع أن يخرج من ملك ربه ، فإذا كان الإنسان هذا المخلوق الصغير لا يستطيع ذلك . فما ظنكم بالدولة ؟ هل يمكنها أن تخرج من ملك ربها ؟ . . إننا إذا أعلنا هذا الحياد كنا كمن رأى معركة ثائرة تتقاذف فيها السكاكي وتتطاير الأطباق وتتلاحق الحراوات ، فجاء هو وجلس بين المتشاجرين ، وصاح بأعلى صوته أنا لا شأن لي بهراكم فلا تصلوا إلى بأذى ، ثم أغمض عينيه ، وأقفل أذنيه ، وأطبق شفتيه وأطمئن . هكذا يكون حيادنا . . حياد تحول بيننا وبينه طبيعة الأمور وما جريات السياسة الدولية .

حيادا نريد ؟ فما هي الوسائل الواجبة علينا لذلك ؟ يجب علينا أن نعلن الدول الأخرى بموقفنا هذا ، وأصبح لزاما عليهم أن يخضعوا للقانون الدولي فلا يعدوا إلينا عدوانا . . ولكن إذا اعتدت علينا واحدة من الكتلتين . . ماذا نفعل ؟ نعلم أنه خرق للقوانين واعتداء على الحرمات الآمنة ، وانحطاط في المعاملات الدولية . . نعلم ذلك ولكن ماذا نفعل ؟ . . نرد العدو ونذود عن الحياض ، ونمنع الدمار . . ولكن . . وحدنا ! ! نستعين بالكتلة الأخرى . . لقد كنا محايدين . . سوف نقول لها إدفعي عن الحرمات الدولية . . دافعي عن الشرف الحربي . . أدركي السلام العالمي بالحرب المدمرة . . قد تجيب هذه الكتلة وان يكون الدافع لها واحدا من هذه الأسباب . . ستجيب ولكن لتقتضي الثمن . . الثمن الذي ما نزال نبذله حتى اليوم ولم نوفه . . ، حريتنا ثمن حيادنا . . أي ثمن ! تجربة عرفناها . . أنعيدها ؟ الأمر لكم .

قد يرد على هذا بأن الأيام غير الأيام ، وأن الذي حدث في الماضي لا يحدث اليوم ، ولكن ألا ترون إلى موقفنا ونحن نلجأ إلى المدافع عنا كالطفل يمنع عن مساعدة صديقه حتى إذا تعثر صرخ إليه يستنجده فإذا أنجده فإنه لا يلبث ينفض عنه التراب ويسخر منه : (ألم أقل لك . . ألم أحذرك . . انظر الآن ماذا فعلت بنفسك) كرامة مبذولة . . وخزي كبير !

(١) ألقيت في المناظرة التي أقيمت حول هذا الموضوع بدار الحكمة في يوم ١٩ مارس

الأزهر فى مفترق الطرق

للاستاذ أحمد الشرباصى

من شرائط الوصول إلى الحق ، والتوفيق لكلمة الصدق ، القصد فى النقد ، والاعتدال فى الحكم ، والنزاهة فى الرأى ، والنأى عن الاستجابة لعاطفة قوية أو غى جامح ! وكم من حقوق ضاعت بين الهوى الفرط والبغض الفرط ؟ وكم من صيحات إخلاص بعضها مخلص ضاعت فلم يستجب لها أهلوها بسبب ما اكتنفها من شدة أو إسراف ! ..

لقد فسحت « الرسالة » الزهراء صدرها الرحيب للاقلام الناشئة والقديمة على السواء لكى تصول وتجول فى الحديث عن الأزهر والأزهريين ، واشترك فى هذا الميدان الأزهرى الشاب والأزهرى المجوز والأزهرى الوسط ؛ وتلك عناية مشكورة تبديها الرسالة الغراء بالأزهر ، أو بمعنى أدق تعيدها ، فليست الرسالة بجديدة العهد والصلة بالأزهر ، فمنذ سنوات وسنوات وهى تهتبل الفرص والمناسبات لتذكر بخير أو تدعو الأزهريين إلى معروف ، فشكر الله لها ، وجزاها خيرا كفاء ما قدمت وتقدم

لكنى لاحظت على كثير ممن كتبوا أنهم غضبوا لنقص موجود أو عيب تأثم أو ضيق تضيع ، فهرعوا وراءهم المسنونة ، بدل أن يشرعوا أقلامهم الرقيقة الرقيقة ؛ فشنوها حربا قاسية على الأزهر . والأسلوب إن حمدناه عند دواعى اليأس والرغبة فى إثارة الهمم واستنهاض العزائم ، فإن نحمده حين يكون المقام مقام بحث عن حقيقة ، ووصول إلى فكرة ، وتحديد لهدف ، واتفاق على وجهة إصلاح ! ... وكيف يتأتى ذلك والأقلام المشبوبة قد صورت أن الأزهر قد خلا من معناه ، ومن رجاله الجدراء به ، ومن الكتاب الصالح فيه ، ومن المدرس الصالح له ، ومن الطالب المتز به ، و .. ماذا بقى بعد هذا من الأزهر المسكين حتى يحكم عليه بالوجود ، أو بعدم الوجود ؟ .. لم يبق اللهم إلا هذه الأحجار المرصوصة التى نالت منها يد الزمان ما نالت ، ونالت منها يد المصلحين أو المبدلين ما نالت هى الأخرى ، وما أهون هذه الأحجار مجردة فى نظر الناس ونظر التاريخ ! ..

وهل حقيقة أفلس الأزهر كله من رسالته وجماعته وكتبه ومدرسيه ؟ .. فلنتريث فى الجواب حتى نعرف فصل الخطاب ! .. لا جدال فى أن الأزهر الشريف كان قبل النهضة المعاصرة يغط فى سبات عميق ، وكان مقطوع الصلات بالحياة والأحياء ، وكان أشبه بالأثر الكريم العزيز على قومه ، لا ينتفعون منه ولكنهم يبقون عليه إجلالا للماضى وهيبة من التبعة ورجاء للمستقبل .. ثم تنادى الغير المصلحون بوجوب إخراج الأزهر من عزلته فخرج بلاشك .. صدرت من أجله القوانين وغيرت النظم واستحدثت الوسائل وجددت الأشكال والمظاهر ، وحذفت كتب وجاءت كتب ، وطعمت طرق التدريس فيه بما طعمت .

وخدع الأزهر بريق التجديد فانطلق فى سبيله عجلان لا يتلبث ، وأسرف فى هذا التجديد بلا تحديد ، أو بلا تفرقة بين التجديد

قد تسارع الكتلة الأخرى إلى النجدة ولن تفعل إلا عن أنانية .. تسارع ولكن هذه المسارعة لن تكون مضمونة النتيجة ؛ فهم لم يدرسوا فى السلم وسائل الدفاع فرد العدو سيكون أمرا يقرب إلى الاستحالة وحجتهم فى يدهم هكذا كان الأمر مع بلجيكا وهولاندا .

أيها السادة .. أنحن الآن على حياد ؟ أنشارك فى كل هذه المؤتمرات ونقتبس من الغرب كل هذه الثقافات ونسمى أنفسنا على حياد ؟ أى حياد ؟

لعلكم تسمون ذلك الحياد الذى التزمته بعض الدول فى الحرب العالمية الأخيرة فكان هتلر يلتهمها الواحدة بعد الأخرى .. إن الأمم المحايدة حبات من الذرة يمر بها الديك فلا يبذل غير نبشة بمخلب واحناءة رأس ليلتقطها .. أما هذا الديك فقد أثبتت الحوادث العالمية وما تزال تثبت أنه ما تكون إلا من تكتل وتضامن .

إن الحياد أيها السادة أصبح تقليدا عتيقا أشبه ما يكون بموظف ترك الخدمة فأصبح ولا عمل له إلا قهوة وطاولة فى الصباح ، وجريدة وشيشة فى المساء .. فهو يقضيها أيام انتظار بلا أمل .. ويقطعها أمسيات نوم بلا غد . ولن تصبح مصر أمة على المعاش وشيوخها شيوخها ، وشبابها أنتم ، ومليكها الفاروق

ثروت أباظة

فى المفيد والتجديد البعيد عن الجوهر والأصل ، حتى أشفق بعض الناس على الأزهر الشرقى العربى الإسلامى المصرى من هـذه الوثبة الواسعة التى لا تطيقها أقدماه اللتان طال بهما الوقوف والسكون ، فدعوا الأزهر إلى التأنى والالتفات إلى الوراء ، لعله ترك خلفه ما هو أولى بعنايته واهتمامه مما يخطف بصره من بريق يتطلع إليه فى الأمام .

ووقف الأزهر حائرا مبلبل الفكر تائه اللب ، يريد أن يرضى دعاة التجديد فيسمى نفسه جامعة ، ويرسل بعثه إلى أوربا ، وينشىء كليات ومعاهد ، ويقيم معامل وملاعب ، وغير ذلك من أشكال وأنماط ، ويريد أن يرضى أيضا دعاة القديم فيدرس كتب القدماء ، ويعنى بالمتون والشروح والحواشى والتقارير ، ويلتزمت فى التقيد بآراء السالفين حتى فيما تحسن فيه الحرية كالأدب والبلاغة وعلوم البيان . . ومن هنا يستطيع من يريد أن يلتمس للأزهر وجوه محافظة وإيثار للقديم أن يجد ما يريد من الشواهد والبراهين ، كما يستطيع من يريد أن يصف الأزهر بالتجديد أو بالتجديد فى الشكل دون الجوهر والأصل أن يجد ما يدلل به على ما يقول .

ونستطيع نحن أن نقول إن الأزهر الآن فى فترة بلبلة واضطراب ، فلا هو بالقديم ولا هو بالجديد ، وحتى اليوم نستطيع أن نقول إن الأزهر قد عرف طريقه المستقيم بين أنصار القديم وأنصار الجديد ؛ فقد جدد فعلا ولكن التجديد فى الغالب كان فى الأساليب والأوضاع لا فى المناهج والأهداف ، واستحدث فعلا ولكن على سبيل المتابعة والاقتداء لا على سبيل الاقتناع أو الاستقلال . وحسبك دليلا على هذا أن الأزهر فى الغالب ينتظر حتى يتصرف سواه ثم يسير هو على خطاه !

والأزهر محافظ فعلا رغم هذا التجديد ، فروحه وكتبه وأفكاره وطرزه فى تناول الأشياء وأحكامه على أمور الحياة وخاصة عند الكبار ، كل هذا لا يزال وثيق الصلة بالماضى ، عريق الجذور فى تربة السلف ! . .

لكن هل معنى هذا أن الأزهر متخلف أو جامد أو ميت ؟ لا ، فالأزهر سائر حى متحرك يأخذ طريقه إلى ما يريد ، أو إلى ما يراد له ، يستقيم على الطريقة حينا ، ويتعثر فى خطواته بسبب الأعاصير أو الأضاليل أحيانا ، ولا أزيد !

وهل معنى هذا أن الكتاب فى الأزهر لم يتغير ولم يتبدل ؟ كلا ، فقد تبدلت الكتب وتغيرت ، طبعت الكتب الصفر طبعة جديدة ، ونقحت وهذبت وعلق عليها وترجم لرجالها ، وجدت فيها بعض التغيير والتجديد ، وإذا كان هذا لم يخرجها بأكملها عن صورتها الأولى فليس ذلك بضائرها فى فترة نعتبرها فترة مجربة وانتقال من حال إلى حال فى تاريخ الأزهر الطويل . . كذلك ظهرت فى الأزهر كتب جديدة لها قيمتها العلمية ، وأنشأها رجال فى الأزهر لهم مكانتهم وثقافتهم ، ونستطيع الآن لكى نقتنع بهذا أن نتذكر كتب أمثال الأساتذة الأجلاء شلتوت و محمد يوسف موسى والصعيدى وغلاب وحامد محمود والبهى وماضى وعنتر ومحيى الدين والمدنى والنجار ويوسف الشيخ وحامد عونى وغيرهم .

كذلك فى الأزهر بلاشك اليوم كوكبة معجبة من الأساتذة المدرسين ، وأعلبهم من الشباب ، وهؤلاء فيهم الثقافة والدربة وسعة الأفق والشوق إلى العمل والإصلاح ، ولكن حوائل كثيرة تقف فى وجوه هؤلاء فلا تمكنهم من تحقيق ما يريدون من أحلام وآمال ؛ فإذا أردت إيقاعى فى « شر عملى » وسألتنى ومنذا الذى يقيم تلك الحوائل ؟ . قلت لك : ارتفع فى الصفوف العليا ثم اسأل ! . .

قد تسألنى : وما عيوب الأزهر إذن ؟ فأوجز لك قائلا : عيوب الأزهر هى الحيرة بين القديم والجديد ، انقطاعه عن متابعة الحياة ، وتفرق وجهات النظر فيه ، وتوتر العلاقات الداخلية بين أهليه ، وتبابعته متابعة التسخير لسواه ، وانصراف الطلاب عن وجهته لانشغالهم بغيره من جواذب الحياة ؛ فمن للأزهر بعد كل هذا ؟ . . له الله . .

أحمد الشرباصى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

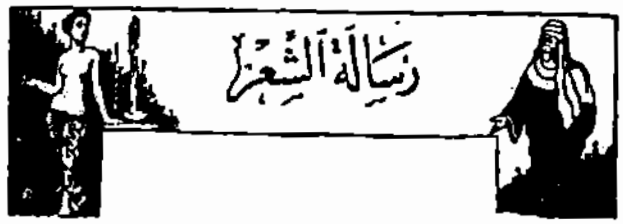

لقاء على بعد

للأستاذ محمد محمود عماد

تلاقينا ؟ نعم ! دون اتفاق ... وما كنا لنأمل فى التلاقى
لقد رضنا النفوس على فراق ... وكانت لا تقر على الفراق
رضينا بالذى يرضاه منا ... عذول ، عذله مر المذاق
عجيب يا منى قلبى لقاه ... يرينى البدر فى وقت المحاق
هما القلبان قادانا لحفل ... فجمعنا على غير اتفاق
فأيقظت الصبابة وهى وسنى ... وآذنت اللواعج بانطلاق
ولم أنظر إليك إذا نظرت(١) ... وما أوحيت ما بى من اشتياق
خشيت على العيون إذا تلاقت ... تسر بما تسر إلى الرفاق
خصصت بنظرتى كلا عدتك. (٢) ... ولست ، ومن عداك ، على وفاق
ووجهت التفاتى كل صوب ... ولكن ، غير وجهك لم ألاق
ومرت محنة عانيت فيها ... صراعاً بين قلبى والمآقى
تجاهلت التى أصبو إليها ... وذلك بدء عهدى بالنفاق !
لقد لاقيتنى فلقيت شوقى ... وقد خلفتنى والشوق باق

(١) كنا (٢) كنا

محمد محمود عماد

مناجاة نفس ...

« مهداة الى الناقد الربي الكبير الأستاذ أنور المعداوى »

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

يا نفس كفى الأنين ... واحتفلى بالنغم
هذا المساء الحزين ... يوحى إليك السأم
ما لك لا تهجعين ... وتقبرين الندم
أأنت ماء وطين ... أم زفرات الضرم
ما أنت إلا جنين ... على ضفاف الألم
والروح إلا سجين ... فاستبشرى بالعدم
يا حلماً فى السنين ... طاف ولما يتم
حبك لو تعلمين ... من وحى لحم ودم
يا نفس كفى الأنين ... واحتفلى بالنغم
هذا المساء الحزين ... يوحى إليك السأم
ما لك لا تهجعين ... وتقبرين الندم

***

يا نفس حب الحياة ... حب لموب هلوك
أتعبدين الإله ؟ ! ... كما عبدت الملوك
نحن كآل الفلاه ... أو كضباب الشكوك
أحلامنا .. ويلتاه ... نجم هفا للدلوك
كما تلظت شفاه ... والقلب نبع ضحوك
يا نفس كفى الأنين ... واحتفلى بالنغم
هذا المساء الحزين ... يوحى إليك السأم
ما لك لا تهجعين ... وتقبرين الندم

***

يا نفس عمر الورى ... ذبالة تحترق
فاستعصمى يا ذرى ... وحاذقى فى الأفق
لا تستحبى السكرى ... ولا تابى الغسق
صبراً فكم فى الثرى ... قبر لنجم خفق
لتنتهى فى السرى ... أحلامنا يا شفق

***

يا نفس كفى الأنين ... واحتفلى بالنغم
هذا المساء الحزين ... يوحى إليك السأم
ما لك لا تهجعين ... وتقبرين الندم
يا نفس كفى الدموع ... ما لك كالذاهله

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حيرة الجيل الجديد في الأزهر

أمامي الآن كومة من رسائل الطلبة في كليات الأزهر ومعاهده، أمطرني بها البريد في هذين الأسبوعين منذ أثرت موضوع المؤلفات القديمة التي يعتمد عليها الأزهر في دراسة العلوم الدينية واللغوية. وقد عشت ساعات مع أصحابها في آلامهم ومشاعرهم وليست حالهم التي يصفون غريبة عني، فقد كنت قريباً منها ومررت بها وبلوتها، وأحمد الله على أن ضفت بها وطلبت منها الفكاك، وكان لي ما أردت، ولكن هذا الموضوع الذي أثرته في «الرسالة» وهذه الرسائل الكثيرة التي يتحدث إلي فيها هؤلاء الشباب حديث الصراحة والصدق والألم جعلتني أندمج في هذه المشاعر وأحس كأني معهم فيما يعانون.

هذا «جمعة الباكي» بعد «ضياء الحائر» وكلاهما في كلية الشريعة، يبكي جمعة مما يحير ضياء.. يبكي مما يلقاه في كتاب «الهداية» من أبواب العتق والتدبير والاستيلاد، ولا عتق ولا تدبير ولا استيلاد في هذا العصر، ويبكي من (التلويح على التوضيح على التنقيح) الذي تعاقب فيه ثلاثة، وصح ثانيهم ما نقح الأول، ولوح الثالث على توضيح الثاني، وقد نشط هؤلاء في التنقيح والتوضيح والتلويح من نحو سبعة قرون، لنعيش نحن الآن عالة على ما صنعوا بلا تنقيح أو توضيح أو حتى تلويح...

وهذا «أحد ضحايا السكاكي» بعهد فاروق يقنا» يبدأ رسالته بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. لأنه يشعر أن الشك بدأ يداخله بعد أن قرأ كتاب «الجوهرة» في علم التوحيد! وقد كان من قبله قوي الإيمان، فأصبح لا يكتب رسالة إلا صدرها بالإقرار بالشهادتين ليطمئن نفسه بأنه ما زال مؤمنا... وهو يشكو من «السكاكي» وأقواله في المجاز العقلي مر الشكوى.

وكثير من الطلبة ينقلون إلي نتفا من تلك الكتب، يستدلون بها على ما فيها من تعقيد وعقم وبعد عن الحقائق العلمية المسلم بها في عصرنا وعما يجيء في واقع حياتنا. يقول «ع. م. ج بمعهد طنطا الثانوي»: إن في الأزهر كتبا يقول فيها أصحابها إن الأرض بحملها حوت اسمه بهموت! ويقول بعضهم في (تفسير النسفي) إن «ن» في قوله تعالى «ن والقلم وما يسطرون» هو اسم ذلك الحوت! ويورد (محمد عبد العزيز عمر الطالب بمعهد أسيوط) مسائل غريبة من الفقه، منها: مات رجل وترك نصف بنت أو نصف بنت الابن فما نصيب كل من الميراث؟! ومنها: لا يجوز لحيوان البحر أن يتزوج إنسية.. ومنها: لو وجد الانسان قشر رمان أو نواة ملفاة على الأرض يجب عليه أن يحتفظ بها وينادي على صاحبها أربعين يوما! وأقول إنه لن يترك أحد نصف بنت، ولن يجرؤ «السيد قشطه» على أن يخطب بنت حارسه في حديقة الحيوان، ولكن الذي ينادي على من فقد قشرة رمان ومن سقطت منه نواة، فانه سيقضي بقية الأربعين يوما وما بعدها في مستشفى المجانين بالعباسية، ما في ذلك شك. وقد ذكر أيضا فرضا فقهيا مضحكا تمنع الآداب العامة من نشره. وجاءت هذه المسائل أيضا في رسالة «سلطان بمعهد أسيوط» ويستدل (ح ى ع بمعهد الاسكندرية) على ما يعيي الطالب الصغير من الخلط بين

كما ستفنى الجموع تفنين يا جاهله
تمضي وما من رجوع قافلة ... قافلة
أما كرهت الهجوع والوحدة القاتلة
انطلق فالربيع أفراحه حافله

***

يا نفس كفي الانين واحتفلي بالنغم
هذا المساء الحزين يرمي إليك السأم
ما لك لا تهجعين وتقبرين الندم
يا نفس ولى الشتاء واستيقظ البرعم
هيا لرشف الضياء صفيك الملهم
لبى السنا والسناء ليلك لا يرحم
روحي تهوى الصفاء وهي به تحلم
فغنمها باشتهاء يا فيم يا أنجم

مسائل الفقه والنحو والصرف ، والتاريخ بعبارات لا يستطيع إلا حفظها من غير فهم، قال المصنف فى المتن « العاقلة أهل الديوان» فجاء صاحب الحاشية يقول شارحا : « وهم الجيش الذين كتبت أسماؤهم فى الديوان ، وهو جريدة الحساب ، وهو معرب ، والأصل دوان فأبدل من المضعفين ياء للتخفيف ولهذا يرد فى الجمع إلى أصله فيقال دواوين ويقال إن عمر رضى الله عنه أول من دون الدواوين فى العرب أى رتب الجرائد للعمال كما فى المصباح » ثم قال المصنف « يؤخذ ذلك من عطاياهم » فجاء صاحب الحاشية يشرح : « جمع عطاء وهو اسم لما يخرج للجندى من بيت المال فى السنة مرة أو مرتين والرزق ما يخرج لهم فى كل شهر وقيل يوما بيوم جوهرة لأن إيجابها فيما هو صلة وهو العطاء أولى من إيجابها فى أصول أموالهم لأنها أخف وما تحملت العاقلة إلا للتخفيف » وإنى والله لأعجب أشد العجب، لا من مؤلفى هذه الكتب، فقد كانت تلك مسائلهم ، وكان ذلك عصرهم وطابعهم العلمى ، ولكن العجب من هؤلاء « المعاصرين» الذين يقولون بأن هذه الكتب تقوى المدارك وتنمى المواهب ! لنفرض أن المعجزة وقعت وفهم الطالب الصغير تلك العبارات ، فما هو الخير الكثير أو القليل الذى يحصل عليه منها ! وكيف يوفق بين ما تدل عليه من أن الذين يتحملون دية القتيل هم زملاء القاتل فى الجيش ، وبين ما يجرى عليه عمال الفريق حيدر باشا فى تنظيم الجيش المصرى الحديث ؟ فهل هذا يقوى المدارك والمواهب أو يحيرها ويحطمها ؟ لكم الله أيها الحائرون !

ويعجب « ح س ع » أيضا من إصرار كتب الصرف على تصغير « فهلس وشمردل وهيبخ وحينطى » وحق له العجب ، فهو إن عرف مدلولات هذه الكلمات فانه لا يجدها فى حياته مكررة أو مصغرة ، ولو نطق بها فى خارج الأزهر لسخر منه الناس

ويقول عبد العزيز محمد قاسم بكلية الشريعة : « إن الطالب فى كلية الشريعة يدرس المعاملات ضمن مقرر الفقه ، ولا تظن ياسيدى أنه يعرف شيئا مما حدث ويحدث من معاملات فى أيامنا ، وأقرب مثال لهذا أننا ندرس (الشركة) وكل ما نعرفه أنها تنقسم إلى عنان ووجوه ومفاوضة ، أما الشركات المساهمة وشركات التأمين وغيرها من الشركات القائمة وهل هذه تدخل تحت تلك وما حكم هذه الأنواع فى الشريعة الاسلامية ، فكل هذا لا نعرف عنه شيئا » .

ويعبر « حسين على ريحان بمعهد الأسكندرية » عن متاعبه فى تلك الدراسة بعبارات شاعرية مؤثرة ، ويعتب على الأستاذ « دنيا » لأنه « وصف ما يقوى السمال لا ما يزيل الصداع » ويدعو الله أن يسامحه .

وفى الرسائل نقد لاذع للأساتذة والرؤساء ، على نحو ما بين الأستاذ « أزهرى عجور » فى العدد الماضى من « الرسالة » وبلغ بعضه حد العنف ، ويدل ذلك على روح السخط الشامل ، كما يدل على الهوة السحيقة التى تفصل العقلية الجديدة عن العقلية القديمة . وينصف بعضهم الأساتذة الذى تخرجوا حديثا ، يقول (م.م.ح. بكلية اللغة العربية) : « ومع ذلك فهناك طائفة من الأساتذة التى تخرجت حديثا ولم تحرم نفسها من الاعتراف من منهل الثقافة العصرية والعلوم والمعارف الحديثة . هذه الطائفة وإن تكن قليلة جدا فى هذا الجيش اللجب إلا أنها يرجى منها الخير وينتظر على يدها الإصلاح لو سلم لها زعام القافلة وشاركت فى إدارة الأزهر، ولكن متى يتاح لها ذلك ؟ إن كل من يشم منه رائحة التجديد والإصلاح فى الأزهر يقصى إقصاء تاما ... الخ »

والرسائل على العموم ناطقة بروح التوثب والتطلع إلى مجاراة العصر ، وفى كثير منها رغبة حارة فى تعلم اللغات الأجنبية . وهى فى جملتها تدل على وعى وحسن تقدير للأمور ، وفيها شعور بالمدى الواسع بين ما يقضى عليهم به من « النفق العقلى » إلى عصور التأخر التى ألفت فيها تلك الكتب وبين ما يجدونه من تقدم العصر فى العلوم والفنون والآداب ، وفيها غير ما أشرت به من الملاحظات السديدة ، وهناك رسائل أخرى كثيرة عدا ما أشرت إليه ، ويؤسفنى أن تحول دون عرض كل ذلك حشية الاطالة .

وبين هذه الرسائل الكثيرة رسالتان من طالبين « مجتهدين» أحدهما « محمد السعيد بكلية الشريعة » وهو يرجع شكوى « ضياء الحق » إلى قرب الامتحان وإهماله الاستذكار فى أثناء العام الدراسى ... ويقول إن رسالة الأزهر هى المحافظة على هذا القديم . والثانى « مأمون يس عبدالله بمعهد أسيوط » وهو يقول: لا تلوموا العلوم نفسها ولوموا إن استعصمتم من زادها تقعيدا عن

مشايخنا المدرسين ، فذلك قول الحق الذى فيه تمترون » ويقول « فإن أنكرتم بعد هذا قولى وقلتم أساطير الأولين اكتتبها ، فتنبهوا قبل الوجود عن عباقرة الأدب العربى ثم ارجعوا إلى وهاتوا ما عندكم من علم إن كنتم صادقين، سائلوا العقاد العالم والدكتور طه عميد الأدب والأستاذ أحمد حسن الزيات أمير البيان ؛ هل منهم من لم يقرأ كتب الأزهريين، لا ، لا تسألوا هذا ولا ذاك فقد حكمتم حكما قديرا ، ما إخاله إلا وقرأ كتبكم وزيادة عليها ، إلا وهو الأستاذ عباس خضر (هنا شيء يخجل ذكره تواضعا !) وإنا منتظرون »

حقا — يا سيدى عبداللا — إن هؤلاء قرأوا كتب الأزهر ومنهم من كان فى الأزهر فعلا ، ولكنهم ضاقوا بها وكان لهم عراك معها ، وقد خلصوا منها إلى الأدب والثقافة العصرية ، ولو أنهم ظلوا عاكفين عليها لكانوا كمن ذكرت من المشايخ ، ولكن الله سلمهم ، فكانوا من المنتجين النافعين، نفعنا الله بآدابهم آمين ذلك كله ، وفى النفس بقية

مناظرة فى الحياد والتكتل

أقام الاتحاد العام لجامعة فؤاد الأول يوم الأربعاء الماضى بدار الحكمة مناظرة برياسة معالى الدكتور محمد صلاح الدين بك وزير الخارجية ، موضوعها: « من مصلحة مصر التمسك بسياسة الحياد فى الوقت الحاضر » أيد الرأى سعادة الأستاذ فكرى أباظه باشا والأستاذ أحمد هيكل والآنسة ثريا الحكيم ، وعارضه الأستاذ حسين كامل سليم بك والأستاذ ثروت أباظه والآنسة ثريا الجبالى

ويخيل إلى أنى لمحت « بين سطور » هذه المناظرة معانى قد تكون مقصودة الموضوع من موضوعات الساعة ، والرئيس وزير الخارجية ، والوزارة وزارة شعبية ، فهل أريد درس المسألة على نمط أدبى، ومعرفة رأى جمهور من المثقفين؟ أولا يدل قيام المناظرة على أننا الآن غير مرتبطين عما يجعلنا مع هؤلاء أو هؤلاء ، وإنما نحن، وقد أبطلنا ما استنفد أغراضه ، نبرر رأى فيما نرى المصلحة فى الأخذ به .

بدأت المناظرة بكلمة الأستاذ معروف نافع رئيس لجنة المناظرات والمحاضرات باتحاد الجامعة ، فأعرب عن اغتباطه لتقدمنا فى الديمقراطية حتى صار الوزير يرأس المناظرات العامة ، ثم أراد أن يقدم المتناظرين ، ولكن الرئيس نهض قائلا : يظهر أن ديمقراطيتنا وصلت إلى أبعد من رآسة الوزراء للمناظرات، وصلت إلى أن يهمل الوزير وهو رئيس المناظرة فلا يترك له حتى أن يرد على الشكر ..

واتبعت طريقة جديدة فى تقديم المتناظرين، فابتدىء بالأقل.. وقد حار الأستاذ نافع فى التمييز .. فأسعفه أحدهم قائلا : الأقل سنا ، وجاء ترتيب الأستاذ فكرى أباظه باشا فى الآخر ! فهل كان ذلك مدبرا لمنافسته ؟

وقد وفق جميع المتناظرين فى تناول الموضوع ، وكان حديثهم منسقا ، وعباراتهم فصيحة ، وخطابتهم بارعة ، وكانت الآنستان مدعاة للاعجاب ، وخاصة الآنسة ثريا الحكيم فهى خطيبة معبرة بنبرات صوتها وحسن جرسها مع فصاحة فى النطق والتعبير . وكان من مظاهر الديمقراطية فى المناظرة أن اتخذ الأستاذ ثروت أباظه مكانه فى الصف المعارض أمام عمه فكرى أباظه باشا ، وقد جال جولته فى موقف خطابى بارع ، ولكنه لم يسلم من طعنات عمه التى سددها إليه وإلى زميلته الآنسة ثريا الجبالى ، ولم يكف فكرى باشا عن الخطابة بعد أن جلس .. فقد كانت إشاراته الصامتة الناطقة تدحض كل حجة يأتى بها معارضه حسين كامل سليم بك وكان الأستاذ أحمد هيكل لبقا عند ما قال إنه واثق من وطنية المعارضين وأنهم يرون فيما بينهم وبين أنفسهم ضرورة الحياد ولكنهم يريدون أن يهيئوا الفرصة لمناقشة كل ما يمكن أن يقال فى معارضته .

وقد كانت حجة المؤيدين — على وجه الإجمال — أننا لا مصلحة لنا فى الانحياز إلى أحد ، وأنه من الخير لنا ألا نعرض أنفسنا للأخطار والأضرار التى تأتينا من الجهة التى ننحاز ضدها، وأن خطر الحرب والاعتداء علينا محقق إذا انضممنا إلى أى فريق ولكنه متوهم إذا وقفنا على الحياد ، فكيف نسعى إلى الضرر المحقق خوفا من المتوهم ؟ وأن موقع مصر فى مفترق الطرق بين أمم العالم، وموقع قناة السويس منها، يحتم لسلام العالم أن تكون مصر محايدة ، ومن الظلم أن تقوى جانبا لهزم آخر لا جريرة له عندها . وضرب المؤيدون الأمثال بالأمم المحايدة ، مثل تركيا وسويسرا واسبانيا ، التى تجنبت بحيادها ما لحق بالأمم المحاربة من الخراب والتدمير . وقد تساءل فكرى باشا: إلى من ننحاز؟

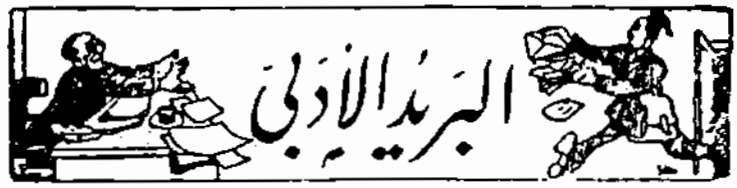

من وحي فلسطين :

جاءنا من الأستاذ الجليل محمد توحيد السلحدار بك هذا الكتاب تعقيبا على كلمة الأستاذ كامل السوافيري في كتاب من وحي [illegible]

في العدد ٧٨٤ من الرسالة الصادر في الثالث من ابريل هذا العام ، مقالة لحضرة الأستاذ الكريم كامل السوافيري خص بها كتاب احمد رمزي بك « من وحي فلسطين » .

استشف الأستاذ الماهر هذا الكتاب المفيد ، ونوهت به مقالته الصادرة عن بصيرة واخلاص ؛ وأعجبه الموضوع واطلاع المؤلف وإقدامه على التصريح بحقائق في اظهارها خير وفي اخفائها شر ، فاستجاب الأستاذ بمقالته لإعجابه ، وأوحت إليه أريحيته بصفات تمتني بها عند ذكره مقدمتي للكتاب ، فأنا شاكر له حسن ظنه وقصده جزيل الشكر .

وأرى من حقه علي ، وهو يحسبني خليقا بتلك الصفات السامية ، أن اقرن شكري الصريح بالتعرف إليه : لست مؤرخا ، ولا سياسيا ، ولا علامة ، ولا من أصحاب الرتب ، ولست أقول ذلك عن تواضع ، بل أقوله عن الواقع واليقين وتفاديا من تقليد أولئك المصريين الذين يجهلون أنهم بعيدون عن علم العلماء وفقه الفقهاء وفضل الفضلاء في الشعوب المتيقظة ! وحسبي ان أعد من المصريين المتعلمين في تفاوت بينهم ، غير المحرومين من حساسات العفة ومن الشعور بواجبات التضامن القومي والمصلحة العامة . وإذا لاح في فكري خاطر ، أو نبهتني مناسبة إلى موضوع أو كتاب وكانت حالي الصحية مسعدة ، ربما كتبت بشأنه ما أظن أن نشره قد لا يخلو من فائدة لبعض القراء ، ولا تكون لي عندئذ رغبة سوى ان ينظر القارىء ، إن هو قرأ لي ، إلى المكتوب وليس إلى الكاتب .

وبودي لو تتضاعف عدد الأقلام التي تعالج انقاذ الغارقين في غمرة لما يصل إليهم في أعماقها نور القرن العشرين . بودي حقا لو يكثر ظهور المؤلفات من أنواع « الوعي القومي » و « معنى النكبة » لفلسطين زريق ، و « الاستعمار الفرنسي » و « من وحي فلسطين » لأحمد رمزي » و « في أصول المسألة المصرية » لصبحي وحيده . فهذه كتب ، اصابت كل الاصابة أم اخطأت بعض الخطأ ، تفتح عيونا وتوقظ قلوبا مدت الأيام لأصحابها في الغرور والضلال ، فغنتهم مغانم التهويش والتضليل على حساب الشعب . وعسى ان يأتي انتشار هذه المؤلفات وأمثالها بالفائدة المطلوبة ، ومن هنا كانت إشادة الأستاذ البصير بكتاب رمزي بك خدمة للمصلحة العامة ومحمدة تذكر وتشكر .

محمد توحيد السلحدار

حضرات التأبين — إلى صديقي الأستاذ عباس خضر :

إذا كنت من اتباع دعاة المحافظة على القديم وقصر حفلات التأبين على ذكر محاسن الفقيد وتمديد مناقبه تكون من الراضين

أم إلى الانجليز ونحن نجاهد للتخلص منهم ، أم إلى الأمريكان مؤيدي إسرائيل في فلسطين ، أم إلى روسيا سمياً إلى فوضى الشيوعية » وقال: لسنا استعماريين ولا رأسماليين ولا شيوعيين ، فما مصلحتنا إذن في الانضمام إلى أي من هؤلاء ؟

أما المعارضون فقد قالوا بأنه لا ينبغي أن نظل بمعزل عن المعترك حتى يدهمنا الخطر ، فنضطر إلى ارتجال الخطط ، ولن نستطيع وحدنا أن ندفع المدوان فنستنجد بمن يقتضينا الثمن من كرامتنا وحريتنا . وضرب المعارضون الأمثال بالدول التي كانت محايدة ، مثل بلجيكا وهولندا ، وظنت أن حيادها ينجيها ، ولكن هتلر التهمها واحدة بعد واحدة . وقد شبه الأستاذ ثروت أباظه المحايد بموظف ترك الخدمة يقضي وقته بلا أمل في القهوة بين الجريدة والنرد والترجيلة ، قائلا إنه لا يجوز أن تصبح مصر أمة « على الماشي » .

وقد طلب فكري باشا من كبير المعارضين ، وهو عميد كلية التجارة ، أن يجيبه عن مصلحة مصر الاقتصادية في التكتل ، ولكن الأستاذ العميد لم يعرض لهذه الناحية ، وعما قاله أن التكتل أمر لا بد منه ، وأن مصر آخذة به فعلا بتكتلها مع الدول العربية ، وأن الجميع متفقون على ضرورة ذلك . وواضح أن هذا ليس هو المقصود بالتكتل ، لأن موضوع المناظرة خاص بالانضمام إلى إحدى الكتلتين العالميتين أو عدمه . وأخيراً أخذ رأي الحاضرين فكانت الأغلبية الساحقة مع الحياد.

عباس خضر

تفاق الشعراء وكذب الخطباء فى هـذا العصر ، ومن المتساهلين فى سماع الشعر الوسط وما هو دون الوسط كالذى سمعته فى حفلة المرحوم على محمود طه .

وإذا كنت ممن لا يؤيدون ما أدخل على حفلات التأبين من مقالات — ومبالغات فى تمديد المناقب وافتعال الصفات لكل فقيد كما هو واقع الآن ، فانك تكون قد جاريتنى فى إقحام أكثر الشعراء والخطباء فى زمرة النادبين المأجورين .

أما إذا كنت ممن يقدرون نهضتنا الادبية ومن العاملين فى وضع لبنـــة واحدة فى بنائها — وانك لكذلك — فكان الأخلق بك ان تنكر منى على شعراء وخطباء حفلات التأبين تباكيهم وتفجعهم الكذوب وإلحاحهم فى النواح المجوج ، وأن تدعوهم — لا بالمطرقة والسندان — إلى سلوك السبيل التى يسلكها الأدباء فى الأمم الراقية .

لكنما يكون الرثاء :

مات الشاعر فلان فأقام له اصدقاؤه الأدباء حفلة تأبين ، ولما اعتلى رئيس الدعوة المنبر قال « يتكلم أربعة من الخطباء فى أربع ناحيات من شعر الفقيد » وتكلم الخطباء وأفاضوا فى تمديد تلك النواحى ، وانى لأرجو الأستاذ عباس ان يصدقنى ان أحد أولئك الخطباء لم يكتف فى الكلام عن بوهيمية ذلك الشاعر فحسب ، بل أفاض فى تحليل ناحية الشذوذ فيه — وهل يخلو شاعر من شذوذ ؟ وأنهض الدليل ، وهو مستمد من شعر الفقيد ، فلم يسع أرملة ذلك الشاعر إلا تغطية خديها بكفيها والاستعاذة بالله من جرأة النقاد الذين يلمحون فيخمنون فيصيبون ، ويحللون فيصدقون ، ولم يتورع ذلك الخطيب ، أعود فأقول لم يتورع ذلك الخطيب عن الاعتذار إلى تلك الأرملة بقوله « لقد أصبح الشاعر الذى كان زوجك ملكنا نحن الذين نرسم الخطوط للمؤرخين » وأنت يا مناظرى الكريم إذا تصفحت أية مجلة أدبيـة غربية تجد ان التأبين ليس معناه « ذكر المحاسن وتمديد المناقب » كما يطيب لك ان يكون .

أنت تشك يا صاحبى فى انى رسمت مع الزيات خطوطا رئيسية لمن سيتوفر على دراسة الشاعر الصديق على محمود طه وتدعونى إلى « الاستقلال برسم خطوط للدراسة » يحسن بى قبل أن أقول لبيك ان اسألك : ألم تكن صورة خطاى معك ؟ لم لم تقارن كلامى بكلام الزيات فتطمئن بعد المقارنة إلى ما يؤيد دعواى ، ويدحض ادعائى ، ويزول عنك الشك أو يبقى ؟ ألم تسمعنى أتكلم فى خصومة الأدباء ومزاياها وصداقتهم ومطاويها ؟ ألم تقرأ فى خطابى كلاماً عن « الحب » فى شعر على طه . وانه — يرحمه الله — قد أحب مرة واحدة ، وانه صور ذلك الحب العارم فى قصيدة واحدة هى كالمنارة فى بحور شـــعاره ؟ اليس فى كل هذا خطوط كخطوط الزيات ؟ لقد تواضعت برغم كبريائى فاستشهدت بالخطوط الرئيسية التى رسمها الزيات وسكت عن نفسى ، أما كان يجدر بك ان تذكرها أنت وتنشر نتفاً منها ؟ لقد سكت عن كل هذا وتشككت لماذا ؟

الجواب : لأنك تعلقت بأذيال « البوهيمية » لتظاهر أمام الناس معها بعمة خضراء وقداسة بيضاء ، وجبة سوداء لتقول مع المتوقرين المستقدمين « اذكرا محاسن موتاكم » ولكن فاتك ان الشاعر لا يموت .

وأخيرا مالك يا صاحبى توهمنى بأن كلمتى التى ألقيتها فى ذلك « يجب ان تسطع شمسها فتحجب سائر النجوم والكواكب » ؟ ثم من هم نجوم تلك الحفلة ومن هم كواكبها ؟

— الشعراء ولا شك ! !

أما أكثر الشعراء يا صاحب فقل منى يرحمهم الله .

حبيب الزحلاوى

من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٣٥ قرشاً عدا أجرة البريد

ضيف غريب

للكاتب السويدي الفكه المعروف

هاسي زيبترستروم

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى

كنت قد فرغت منذ لحظات من تناول فطوري ودلفت إلى الشرفة ... كان الخليج ينبسط أمامي بشطآنه الفسيحة الترامية ، ولونه الأزرق الداكن ، وتتألق فوق مياهه شمس متوهجة تتقد اتقاداً .

وبعد أن ثبت مقعدي بحيث أواجه مهب الريح ، أخذت استمتع بالنسيم الرخي الفاتر فشاعت في حنايا قلبي دواعي الغبطة والابتهاج ...

ناولني الخادم برقية ... وقد شعرت وأنا أتناولها منه بأنني سأجد فيها حتماً ما يضايقني ويبعث على عبثي رغم انني كنت أجهل بطبيعة الحال ما قد تتضمنه بين ثنايا سطورها ...

صعدت زوجتي أيضاً إلى الطابق الذي كنت فيه .. فقلت لها

— وصلتني برقية .. فهل لك أن تحزري ما فيها ؟ ...

— ليس لدي الوقت الكافي لحل الألغاز وفك الأحاجي . . فضها وانظر ما فيها — فضضت الغلاف فقرأت :

بحثت عنك في المدينة ... سأتحرك في الرابعة والثلاثين ...

تحياتي لزوجتك

«فردريك»

قلت لزوجتي

— هل تعرفينه ؟ . .

— كلا ! .. ومن يكون فردريك هذا ؟ . .

لا أعلم — أنا أعرف شخصاً واحداً بهذا الاسم وهو ليس ممن يطيب له أن يبحث عني أو يخطر له ببال أن يشخص إلى ...

— لعل البرقية ضلت طريقها إلينا : ...

— لا ! ... فالعنوان كامل . ليت شعري أي فردريك هذا ؟ .. إنه سيصل في السابعة ... يجب أن ترتدي ثياباً لائقة ، ثم اغسلي الأولاد قبل ربع ساعة فقط من الوعد ليمكن إبقاؤهم نظيفين ...

غادرتني زوجتي ، فخلوت إلى نفسي وإلى أفكاري . ثم نسيت فردريك تماماً إذ فقدته بين زورق البخاري والجزيرة التي لجأت إليها التماساً للراحة والهدوء ...

وزارة المعارف العمومية

مراقبة التوريدات — اعلان

سبق أن أعلنت الوزارة عن الحاجة إلى كتب دراسية للمدارس الابتدائية ولمدارس المرحلة المتوسطة في المواد الآتيـــة :

قواعد اللغة العربية ، والمطالعة العربية ، ومبادىء اللغة الفرنسية ، ومبادىء العلوم وتدبير الصحة ، والتربية الوطنية ، والجغرافيا ، والتاريخ والعلوم العامة ، والحساب والجبر ، والهندسة

وكانت الوزارة قد حددت مواعيد تقديم هذه الكتب ، ولكن نظراً لأن الوزارة تعيد النظر في جميع الخطط والمناهج لتنظيم الدراسة في معاهد التعليم العام بمرحلتيه الابتدائية والثانوية وما في مستواها فقد قررت الوزارة تأجيل موعد هذه المسابقات التي سبق الاعلان عنها الى موعد آخر تحدده الوزارة فيما بعد

وستعيد مراقبـــة التوريدات ما وصل إليها من كتب المسابقات إلى حضرات مؤلفيها

٤٥٤٢

كان النهار رائعاً حقاً ...

وفي أثناء تناول الغداء قلت لزوجتي :

— الساعة السابعة بالضبط ... ألا يجب أن نذهب لاستقبال فردريك ؟

هبطنا إلى الميناء ...

كان المرفأ يموج بعلية القوم السلفاء الذين تعودوا تمضية أوقاتهم فيه على الدوام غاديين سادرين ... وكان هناك المصور الشاب ذو القبعة الجراء والشعرة الواثبة المتزنة ، كما كانت هناك النساء اللائي درجن على أن يصدقن بسذاجة متناهية كل ما يقال لهن :

وما إن رمقني هؤلاء بعيونهن الزرق الواسعة التي حملت إلى قلبي كل ما في أرواحهن من معاني الوداعة والدلال حتى ابتدرت مخاطباً إياهن :

— نشبت ثورة عظيمة في باريس هذا الصباح ، وأعلنت الأحكام العرفية ، وقد بلغ دوي المدافع والانفجارات من العنف والشدة بحيث تعذر على السكان أن يسمع الواحد منهم صوت محدثه. لهذا فقد أضطر الجميع إلى تخلية المدينة والخروج إلى الأرض الفضاء لمواصلة ثرثرتهم ولغوهم هناك ...

صرخت إحداهن بصوت حاد مؤلم. وكانت أمها تقيم بباريس:

— أمي ! .. أمي ! ...

فقلت مسلياً إياها

لا تخافي ولا تحزني ! . إنهم نقلوا النساء والأطفال جميعاً إلى ساحة ممشوشبة خضراء قبالة المدينة ...

أخذت الباخرة تقترب شيئاً فشيئاً وكان القول قد تبعه العمل ...

قلت لزوجتي :

— عاملي فردريك بمنتهى الرقة واللطف

التصقت الباخرة بالميناء ... فحيانا قائدها ، كما حيا المصور الشاب ، والسيدة التي هتفت به بقولها : هل من أخبار جديدة ؟.

خرج من الباخرة رجل وخط الشيب رأسه ، ونال الزمان من قوديه ، فقلت في نفسي :

أستبعد أن يكون فردريك هو هذا ... ثم عرفته على التحقيق . لقد كان الرجل الذي تزوج حديثاً سيدة تملك متجراً في المدينة لبيع القمصان ، وقد أبت صاحبته مغادرة محلها لأن موسم الصيف ملائم جداً لبيع أكبر عدد من باقات القمصان ...

ثم خرجت إلى البر سيدة وبنتها . لقد عرفتهما أيضاً ولوحت لهما بيدي ...

وعلى أثر هؤلاء الثلاثة غادر السفينة رجل غريب ، ضخم الجثة ، متين البنيان ، عريض ما بين المنكبين ، يرتدي بدلة في غاية الأناقة وتوحي مشيته بالجرأة والاعتداد بالنفس ...

وما إن لمحني حتى تقدم نحوي ووضع يده على كتفي وقال بصوت يمازجه الود والمرح

— ها ! قد حضرت أخيراً أيها الشيخ الماجن ! ...

بات لزاماً أن يكون هذا هو فردريك بالذات ...

تولتني الحيرة والذهول ... إنه لم يسبق لي أن رأيت هذا الرجل في حياتي من قبل . ومع ذلك فهو يعرفني ، بل ويتحدث إلي كما لو كنا صديقين حميمين منذ سنين . انغمسنا في الثرثرة وتبادلنا ألقاب الماجن ، غير مرة . إلى أن قال أخيراً :

— والآن كيف أنت ؟ . هل الأطفال بخير ؟ . وكيف حال مرتا ؟ ...

إلهي . إلهي ! إنه يعرف حتى اسم زوجتي .

— شكراً لك ... إننا جميعاً بخير ... إننا جميعاً بخير .

شكراً لك ... شكراً لك ...

مد إلي حقيبة كان يحملها :

— خذ هذه أنت بنفسك . أما الحقيبة الكبيرة فستأتي بها العربة بعد قليل . يبدو لي أن حضوري كان مفاجأة لك . أليس كذلك ؟

وهنا لحقت بنا زوجتي أيضاً .

انبسطت أسارير وجه فردريك وأبرقت عيناه ، وانحنى أمامها ، حتى كاد أن يمس الأرض بناصيته ثم قال مخاطباً إياها :

— في كل مرة أراك أجمل مما كنت في المرة السابقة !

رمقتني زوجتي بنظرة شزراء مريبة ولكنني استدركت الموقف فقلت لها :

— ستأتي حقيبة فردريك الكبيرة في العربة بعد قليل ... لفردريك حقيبة غير هذه التي أحملها بيدي لفردريك حقيبة كبيرة ... ثم أخذت أتمتم بهذه الكلمات الأخيرة بغير وعي أو شعور ...

أما زوجتي فقد كانت جامدة كالصنم ، قاسية كالصخر .

ارتقينا ثلاثتنا التل إلى (الفيلا) التي كنت أقيم فيها . فقطع

علينا فردريك الصمت وقال موجهاً الحديث إلى :

— ما أجمل المكان الذى اخترته لنفسك ! بكم استأجرته ؟

ثم استدرك قائلا : ولكن لماذا أسأل هذا السؤال ؟ ... أى غرفة ستخصص لى ؟ ...

— اختر أى مكان تشاء أى مكان تشاء أيها الفتى الماجن ؟.

قال لى فردريك :

— عهدى بك لم تتغير كثيراً

فأجبت مرتبكا

— يؤسفنى لا تكون أنت كذلك .

— ماذا تقول ؟ ثم ما هذا الهراء ؟ هل كبرت حقاً ؟ .

إن وزنى لا يزال ثمانين كيلو وهو وزنى بعينه منذ ست سنوات ...

ثم أدار رأسه إلى زوجتى

— أتجدينني الآن أسمن مما كنت سابقاً يا مرتا ؟ .

أجابت زوجتى بجفاء ظاهر

— لا ، لم تسمن إلا قليلا

اصطحبنا فردريك إلى غرفة الاستقبال ، وعند ما غادرنا الغرفة قالت لى زوجتى بحدة

— ومن يكون هذا الطفيلى ؟

— هذا هو فردريك ، الرجل الذى أبرق إلينا نبأ حضوره هذا الصباح .

— حسن جداً : وهل ... سيبقى ... هنا ... فى بيتنا ؟

— هذا ما تدل عليه قرائن الأمور الآن . أو هذا ما يراه هو نفسه على الأقل .

كنا واقفين فى فناء الدار ، فأطل فردريك برأسه من النافذة :

— أريد صابوناً لحقيبتى الكبيرة لما تصل .

التفت إلى زوجتى وقلت :

— مرتا ! احضرى له قطعة من الصابون سريعاً .

ولكن مرتا لم تحفل بكلامي بل ولت بوجهها شطر غرفة النوم ، وذراعاها إلى الأعلى ثم ألقت هناك بنفسها على السرير .

كان هذا ديدنها فى حالات الغضب والهياج .

فاضطررت إلى أن أحضر الصابون بنفسى

— كان فردريك وقد خلع عنه سترته منهمكا فى تنظيف ثيابه وإصلاح شأنه ، وعند ما رآنى مقبلا عليه ابتدرنى قائلا :

— لم أكن سعيداً فى حياتى فى الآونة الأخيرة كما قد تظن. لقد هزتنى (ألما) هزة عنيفة وهدت من كيانى .

— اعرف ذلك تماماً ...

وهنا أخذت اسائل نفسى ... من هى (ألما) هذه يا ترى ؟ أمتزوج هذا الرجل أم هو يحدثنى عن خطيبته فحسب ؟ ...

— النساء هكذا شأنهن دائماً

— أجل ! ... انهن هكذا دائماً

— الك ما تشكو منه ؟ ...

— ليس كثيراً ! . وأما الآن فليس لدى ما أشكو منه إطلاقاً

— ألما ، تقوم برحلة الآن

— هيه ! هذا حسن

— نعلم نعم إنها هى التى طلبت ذلك .

— وهذا أحسن طبعاً .

فرغ ضيفنا من ارتداء ثيابه فدلفنا إلى الشرفة . وما إن أفرغ كأساً من (البنج) فى جوفه حتى كانت زوجتى أيضاً قد لحقت بنا وشاركتنا حديثنا .

كان فردريك فى ذروة نشوته ومرحه . يمزح ، يثرثر ، يثير قهقهة إثر قهقهة حتى لقد أوشك ان يغمى على زوجتى ثلاث مرات من فرط الضحك .

وصلت الحقيبة الكبيرة ، وكان أول عمل قمت به هو أننى هرعت إلى السلم لاقرأ عليها على الأقل العنوان الذى قد يرشدنى إلى هوية صاحبها .

فردريك لند نهولم .

هذا هو الاسم الذى وقع عليه بصرى وأنا أنفرس جيداً فى أحد جانبى الحقيبة .

لم يتبدد شىء من الظلام الذى كان يكتنف ذهنى .

وعلى هذا المنوال أقام فردريك لند نهولم هذا بيننا . غير أنه لم تكد تمر سوى ثلاثة أيام فقط حتى كانت قد استحكمت بيننا وبين ضيفنا أواصر الألفة والمودة ، واشتدت الوشائج التى تربط كلا منا بالآخر .

كان فردريك قد أصبح عنصراً ضرورياً فى حياتنا اليومية لا يمكن إغفال أمره أو الغض من أهميته . فهو حيناً يداعب الأطفال

ويلاعبهم ، وطوراً يساعدني في قيادة زورق البخاري .

وقد استطاع بظرفه وخفة روحه أن يكسب حتى قلب زوجتي وثقتها .

قالت لي زوجتي ذات يوم :

— ليتك أنت أيضاً مثل فردريك دائم المرح، بادي البشاشة، مستعداً لمعونة الغير في أي لحظة ! إن الإنسان ليكاد لا يشعر بأي ضجر أو سأم عند ما يكون قريباً منه .

استطاعت ليعبر عن التأمل والتفكير اللذين يملآن حياة رتيبة هادئة في بيتنا لا يكدر من صفوها وإشراقها شيء يستحق الذكر .

وبعد مضي ثمانية أيام تسلم فردريك خطاباً، وما فضه وقرأه حتى قطب جبينه وبدت على قسمات وجهه علائم الجد والاهتمام ثم قال :

— أصدقائي الأعزاء . لقد انتهى عملي هنا ، يجب أن أسافر غداً صباحاً بدون إبطاء . إن (ألما) قد عادت من رحلتها وأظنكم تفهمون معنى ما أقول .

— نعم ! نعم ! أفهم ذلك حق الفهم — ولكنني أيضاً آسف أشد الأسف على فراقك أيها الصديق العزيز . لقد قضينا معاً أياماً سعيدة . هل لك أن تعدنا بالعودة إلينا ثانية ؟

أجاب فردريك

هذا محتمل ! ربما !

وعند ما سمعت زوجتي نبأ اعتزام فردريك العودة، وإن «ألما» كانت هي السبب في ذلك قالت والتأثر بادٍ على صوتها :

— إن «ألما» هذه لشريرة مستهترة !

وفي صباح اليوم التالي شيعنا فردريك إلى الباخرة، ولم يتأخر أي واحد منا في النوم برغم أن الوقت كان مبكراً جداً .

صعد فردريك إلى سطح الباخرة ، وعند ما دنا موعد الرحيل ظل يلوح لنا بمنديله الأبيض إلى أن ابتعدت السفينة وتوارت عن الأنظار .

قفلنا راجعين إلى البيت واجمين وكأن على رؤوسنا الطير ، وعند ما وصلنا باب سور الحديقة توقفنا عن السير لحظة . فابتدرت زوجتي قائلة :

— قل لي بربك من كان هذا الرجل ؟ .

— لا أعلم .

كنا قد أحببناه دون أن يعرف أحدنا الآخر . وعندما فارقنا خيل إليّ أنني فقدت شيئاً ثميناً جداً وأحسست بالفراغ يحيط بي من كل صوب .

وفي غرفتي وجدت على المنضدة خطاباً فاختطفته في مثل سرعة البرق وتلوته وأنا أكاد ألتهم ما فيه التهاما . ثم أعدت تلاوته من جديد وأنا مطرق ساهم غارق في لجة من التأمل العميق.

وإليك ما جاء فيه .

سيدي الأديب !

بينما أنا جالس ذات يوم مع زمرة من الأصدقاء في أحد الأماكن نتحدث عن أحسن مكان أستطيع أن أقضي فيه عطلتي الأسبوعية إذ ذكر أحدهم اسمكم وأثنى على جمال البقعة التي تنزلون فيها وأوصاني حتى بالنزول في ضيافتكم . ولكنني اعتذرت لعدم وجود تعارف سابق بيننا . غير أنه لمعت في ذهني في تلك اللحظة فكرة طريفة فقلت لأصدقائي : هل تراهنونني على أن أذهب إلى هذا الرجل بدون أن يعرفه بي أحد أو أتلقى دعوة منه ، فأمكث في ضيافته طول أسبوع كامل ؟.. فقبلوا ذلك وتقرر تنفيذ الفكرة. التقطت عنكم وعن أسرتكم بعض المعلومات ثم حدث بعد ذلك ما أنتم به أدرى وأعرف . لقد كسبت الرهان اليوم . ولكنني أستشعر خجلا شديدا كلما تذكرت ما جرى . اضطررت إلى أن أعترف لكم بالحقيقة . سامحوني . لن أقبل رهاناً كهذا بعد الآن وبخاصة إذا كنتم أنتم طرفاً فيه.

المخلص

فردريك

خرجت من الغرفة وناولت الخطاب إلى زوجتي فألقت هي الأخرى أيضا عليه نظرة خاطفة ثم صاحت : مدهش: مدهش !. وأعادت تلاوته ثانية .

وبعد أن أرسلت مرتا تنهيدة عميقة أدارت رأسها نحوي وقالت :

— مهما يكن فقد كان انساناً نبيلا حقاً .

أحمد مصطفى